مختارات فصول - مختارات فصول - مختارات فصول

أخبار الدراويش

[رواية]

عبد الوهاب الأسواني

مختارات فصول
سلسلة أدبية شهرية

(٥٧)

اكتوبر ١٩٨٨

مختارات فصول
سلسلة أدبية شهرية
تصدر عن
الهيئة المصرية
العامة للكتاب

الغلاف للفنان سعد عبد الوهاب

- ١ -

وضع العباءة فوق منكبيه وأمسك بالخيزرانة الغليظة التى يتوكأ عليها وخرج من حجرة نومه الى صحن الدار ..

ـ الاخوان وصلوا يا صادق ؟

ـ ينتظرونك فى « الديوان » يا جدى ..

ـ جهزوا لنا الشاى ..

سار بضع خطوات ودجاج البيت يفسح له الطريق ، وعند الباب الداخلى الصغير المفضى الى الديوان ، انحنى قليلا ودخل ..

ـ سلام عليكم ..

وقف له السيد موسى وتقدم منه بضع خطوات ، صافحه وسار بجواره كأنه يخشى عليه السقوط الى أن جلس على الدكة التى تتصدر صفين من الدكك ، واتكأ على المسند الأزرق الغليظ المحشو بالقطن المدكوك ..

جاء حفيده صادق بصينية الشاى ، صب لهم فى أكواب صغيرة ، ناول السيد موسى أولا ثم السيد عوض الله ، ودار على الباقين ..

جلسة تقليدية اعتاد عليها الحاج سلامة مع أصدقائه الأعزاء ،

يشربون شاى العصر كل يوم معا ، ويصلون المغرب والعشاء جماعة ويتحدثون فيما يهمهم من أمور ..

الحاج سلامة فى السبعين ، فى لون ثمرة الدوم ، متوسط الطول ، عظام منكبيه يدلان على انه كان قويا فى شبابه ، على تجاعيد وجهه الدقيقة ، انطبعت ابتسامة توحى بحبه لأصدقائه ..

هو ليس عمدة أو شيخ بلد ، لكن ثمة اجماع على أن جميع مشاكل نصف بلدنا الشرقى ، يجب أن تناقش على الدكك الحائلة اللون المصفوفة فى ديوان بيته ..

يقوم بيت الحاج سلامة وحده على مرتفع من الأرض تفصله مساحة مزروعة عن بقية البيوت ، بسبب صف الأعمدة الطينية التى تضفى عليه هيبة ، بالقياس الى بيوت بلدنا المتواضعة ، أطلق عليه شيخ الكتاب – الذى لا يكف عن السخرية – اسم : ارم ذات العماد !

اقتحم المجلس السيد بركات الناظر .. فى الأربعين ، نحيل ، يميل الى الطول ، شديد السمرة ، ملامح وجهه تشبه الوجوه المنحوتة على أطلال المعبد الفرعونى الملاصق للمقابر ، عليه جلباب بسيط لكنه نظيف ، على رأسه عمامة صغيرة ناصعة البياض ، قال بصوته الغليظ المندفع :

– يا حاج سلامة ، يا جماعة ، الحكومة تريد اقامة مدرسة اعدادية فى كل بلد ..

– وبلدنا ؟

– العمدة يريد اقامتها فى نصف البلد الغربى ، بجوار بيته ..

– يعنى تفصلها عن أولادنا مسافة نصف نهار ؟

– سيحدث هذا اذا لم تتحركوا ..

السيد بركات الناظر لا يملك غير فدان واحد وبقرة واحدة لكنه يحمل هموم بلدنا كلها فوق رأسه ·· قضى بضع سنوات يدرس فى الجامع الأزهر ثم قطع الدراسة لأسباب غير معروفة ·· قيل لأن أباه عانده فقطع عنه النفقـات ، وقيل لأنه كان يجادل أسـاتذته بطريقة غير لائقة ··

كان جده الأكبر أزهرى النشـأة ، تعتبره منطقتنا من كبار العلماء ، وكان مشهورا بالفضل وحسن الرأى ، لكنه لم يخلف لذريته مالا ، وان خلف لهم شهرة كبيرة فى كل قرى المركز ··

السيد بركات الناظر يقرأ الصحيفة اليومية ، ويسمع نشرات الأخبار ، وهو الوحيد فى بلدنا الذى يستطيع مناقشة كبار موظفى الحكومة من موقع الند ·· وهم يكرهونه لكنهم يستقبلونه بترحاب، خوفا من أن يدل رؤساءهم على تقصيرهم ، أما عمـدة بلدنـا ـ هارون ـ فانه لا يطيقه ويسميه غراب البين !

نقطة ضعف السيد بركات الناظر أنه غير قادر على التفرغ تماما لحل مشاكل البلد بسبب ضآلة دخله ، كما انه لا يستطيع تحريك الجموع ـ لقلة أفراد أسرته ـ الا عن طريق الحاج سلامة ، زعيم القبيلة التى تكاد تكون ربع البلد ·

تكلم كل من فى المجلس ، ارتفعت الأصوات ثم انخفضت . وساد الصمت ·

ـ ما رأيك يا حاج سلامة ؟

ـ ليذهب السيد موسى والسيد عوض الله ومعهما السيد بركات الناظر ·· يقابلوا حضرة العمـدة ويطلبـوا منه أن تكون المدرسة فى النجع الذى يتوسط البلد ··

ـ ولماذا لا تتزعم الوفد بنفسك ؟

ـ أنا كبرت ، وأتعب من الركوب ، والمسافة طويلة ٠

★★★

حين وصل أعضاء الوفد الثلاثة ، كان العمدة يجلس على دكة خشبية خضراء أمام ديوانه الكبير ، وعلى الدكك الكثيرة حوله ، جلس بضعة أشخاص من أقاربه ، فضلا عن ناظر المدرسة الابتدائيـة ، وأقدم مشايخ البلد السيد سرحان الرشيدى شايل التراب ٠٠

حين لمحهم العمدة فى طرف الساحة ، أوعز الى الخفراء أن يربطوا حمار السيد موسى وحمار السيد عوض الله فقط ، أما السيد بركات الناظر ، فقد ربط حماره بنفسه فى صمت ٠

فرد العمدة ذراعيه وعانق السيد موسى وأجلسه عن يمينه ، وصافح السيد عوض الله وهز يده بضع مرات فى حرارة وأجلسه عن يساره ، لكنه مد أطراف أصابعه للسيد بركات الناظر وهو يغمض عينيه كأنه لا يريد أن يراه ، فجلس هذا على دكة بعيـدة بجوار ناظر المدرسة الابتدائية ٠٠

مع رشفات الشاى ، تحدث العمدة بود شديد مع السيد موسى والسيد عوض الله ٠٠ عن الأولاد والزراعة والمواشى ومتاعب منصبه والشخصيات الكبيرة التى اصطدم بها فى المركز ، وتجاهل السيد بركات الناظر تماما ٠٠

السيد موسى فى مثل عمر العمدة ٠٠ فى الخمسين ٠٠ متوسط الطول ٠٠ نحيل برونزى اللون مع شحوب الوجه ٠٠ هـادىء الطباع ٠٠ صبى ٠٠ يرتدى جلبابا صوفيا أنيقا كحلى اللون ٠٠ على رأسه عمامة كبيرة ذات طيات مثل عمامة العمدة ٠٠ يعتبر عميد أسرته ـ كمـا كان أبوه وجده ـ وأهالى بلدنا يحبونه ويشيدون

بذكره لانه يخرج الزكاة فى مواعيدها ، ويقرض صغار المزارعين - من أبناء نجعه - التقاوى والسماد ، وفى أحيان كثيرة لايردونها اليه فيستحى أن يطالبهم ، ويقرضهم من جديد ..

يملك عشرة أفدنة وحوشا من النخل والكثير من البقر والعجول والحمير .. أولاده الأربعة يزرعون الأرض ، ويقضى هو أكثر وقته فى حل مشاكل نصف بلدنا الشرقى .. وبسبب شحوب وجهه الذى يبدو شديد البياض بالقياس الى سمرة الصعيد الأقصى ، يسميه شيخ الكتاب : سليل الفرنجة !

السيد عوض الله فى الخامسة والأربعين ، ممتلىء الجسم ، طويل القامة ، غليظ قسمات الوجه ، فى لون البن المحروق ، من أسرة لا تملك أرضا ، لكنه أصبح الآن من أكبر تجار البلد ، يعطى الكثير من وقته لمشاكل النجوع الشرقية ، وشيخ الكتاب يسميه : قارون !

تكلم السيد موسى باسما ، قال ان نصف البلد الشرقى عاتب على حضرة العمدة ، لأنه كان يطمح أن تقام المدرسة الاعدادية فى النجع الأوسط ، بحيث تكون على مسافة متساوية بين نصفى البلد ، وقال السيد عوض الله ، ان حضرة العمدة معروف بالعدل ، وان صديقه الحميم الحاج سلامة ، يبلغه أحر تحياته ، ويطلب منه ان يعدل فى هذا الأمر كالعهد به ..

أشرق وجه العمدة القمحى ، الذى يشبه وجه تمثال رمسيس الثانى - لهذا الأسلوب الطيب فى الحديث ، ونضحت ملامحه ببراءة طفولية حين جاء ذكر صديقه الحاج سلامة ، وقال ان مطلبكم عادل جدا ، وانه لم يكن يقصد شيئا باقتراحه أن تكون المدرسة بجوار بيته ، كل ما هناك انه يملك قطعة أرض فضاء قرر التبرع بهـا للمدرسة ، لكن المشكلة الآن فى النجع الأوسط .. هل سكانه مستعدون للتبرع بالأرض المطلوبة ؟

قال السيد موسى بصوته الحيى ، انه مستعد لاقناعهم حتى لو أدى الأمر الى أن يعوضهم بقطعة أرض من عنده ، فوافق العمدة ، وشكره السيد موسى ، هذا عشمنا فيك والله يا حضرة العمدة ، وقال السيد عوض الله انت رئيسنا الحقيقى الذى نفخر به ، وعاد الحديث عن الأولاد والزرع والذكريات القديمة ، وأمر لهم العمدة ببراد شاى جديد ٠٠

تغير الجو فجأة وهبت على الجالسين ريح حارة ٠٠ وفى أواخر مارس يزداد احساس الناس بالحرارة بسبب شتاء أسوان البارد ٠٠ وكان شتاء العام قاسيا لم تر له البلاد مثيلا منذ ثمانى سنوات٠٠ أعنى منذ السنة التى مات فيها ابن الحاج سلامة الوحيد ، واعتقلت الشرطة أكبر رئيس عصابة فى المنطقة ، وتأممت فيها قناة السويس ٠

هجمت على الجالسين رياح السموم - بفتح السين - التى تسميها كتب الجغرافيا بالخماسين ، حارة مترية ، فعطس السيد موسى ، وتبعه أقدم مشايخ البلد السيد سرحان الرشيدى شايل التراب ، وما لبثت أن انتقلت عدوى العطس الى بقية الجالسين ٠٠

فى هذه اللحظة جاء السيد (عوف) ابن زعيم النجع الأوسط ، وهو شاب فى الخامسة والعشرين ، شديد السمرة والنحول ، على رأسه عمامة ضخمة مترية ، صافح الجالسين جميعا ، ثم أخرج من جيبه مبلغا من المال ، مده للعمدة تحت حساب الأرض التى يستأجرونها منه ، لكن العمدة رفض المبلغ بشىء من الاستياء ، ودار الهواء الملىء بالغبار فى الساحة الواسعة ، حاملا معه الورق اليابس من تحت شجرة اللبخ الضخمة ، فاحتوى الدكك ومن عليها ، دفعاته يتبع بعضها بعضا مثل أمواج البحر ، وكان العمدة يسعل فى هذه اللحظة ، فطلب من السيد (عوف) أن يبلغ والده بضرورة تسديد الايجار كاملا لأنه يرفض طريقة « النقوط » هذه ،

وكان السيد عوف يدعك عينيه بسبب الغبار الذى حجب الجالسين بعضهم عن بعض ، فتكلم بصوت عال جدا ــ على طريقة سكان النجع الأوسط ــ وقال للعمدة أنه لا يستطيع أن يعود الى أبيه بالمال من جديد والا غضب عليه فلا بد أنه يقبله منه ، فنهره العمدة طالبا منه أن يخفت من صوته وهو يخاطبه والا فانه سوف يتولى تأديبه ما دام أبوه لم يقم بهذه المهمة ، فغضب الشاب ، انتفخت عروق رقبته النحيلة وهو يقول للعمدة انه سوف يقطع اليد التى تمتد اليه ، فنهض العمدة بسرعة ، وأهوى بكفه الكبيرة على وجه السيد عوف ، فأمسك هذا بتلابيبه ، وهب الموجودون لتخليصهما !

★★★

ثمة اجماع على أن عمدة بلدنا هارون أفضل من أبيه العمدة ومن جده ٠٠ فلا أحد يستطيع أن يثبت انه تناول رشوة فى حياته أو نصر ظالما على مظلوم مهمـــا كان مركز الظالم حتى أن الاســـم الذى غلب عليه فى كل بلدنا هو : هارون النزيه ٠٠

أملاكه تزيد قليلا عن العشرين فـدانا ، من أجود الأطيان ، يزرع معها حوالى خمسة عشر فدانا تملكها زوجته ٠٠

المشـــكلة كانت فى عصبيته الشـــديدة ٠٠ اذا غضب أثناء النقاش ، يثور ثورة جامحة ، يتهم محدثه بالغباء والجهل ، وينعته بأنه تربية امرأة ! ٠٠ وفى شبابه كان لا يتورع عن القاء العباءة جانبا ، وسحب النبوت ، وخوض المعارك الضارية ، وكان يخرج منتصرا فى أكثر معاركه ، بسبب طوله الفارع ، ولياقته البدنية ، وبراعته فى القتال بالنبوت ٠

جميع سكان بلدنا تقريبا يخافون غضب العمدة هارون ، لكن الغالبية تحبه وتتأسف لمزاجه الحاد ، باستثناء عدد قليل ، منهم السيد بركات الناظر الذى يزعم بأنه لا يصلح أن يكون عمدة وان

كان يصلح ليكون قاطع طريق ، ومنهم شيخ الكتاب ـ الذى يطلق عليه : سفاح الشعوب !

نجح أعضاء الوفد ـ يساعدهم الجالسون ـ فى تخليص رقبة ابن زعيم النجع الأوسط من قبضة العمدة القوية ، لكن بعد أن غرق وجه السيد (عوف) فى الدماء ، وانتفخت عينه اليسرى ، وكذلك تحطمت نظارة السيد ناظر المدرسة الابتدائية الطبية ، وتمزق ثوب أقدم مشايخ البلد السيد سرحان الرشيدى شايل التراب ٠٠

أمســك شيخ الخفراء بالسيد عوف ، وذهب به الى آخــر الساحة ، وطلب منه أن يعود الى أهله سالما قبل أن تفقده أمه . وجلس العمدة هارون على الدكة ، يشتم النجع الأوسط وكل من فيه ، ويقول ان قرية « الدراويش » مطالبة بأن تقوم كلهــا ـ بنجوعها الشرقية والغربية ـ بسحق هذا النجع الذى لا زرع فيه ولا ماء ٠٠ فى حين راح الجميع يهدئون من ثائرته ، قال له السيد موسى ، يجب أن تتجنب الانفعالات خوفا على صحتك الغالية علينا ، وقال له السيد عوض الله ان الله سبحانه وتعالى لم يخترك عمدة علينا الا لأنك أرجحنا عقلا ، وقال له السيد بركات الناظر كان الواجب أن تحفظ مركزك كعمدة ، لا أن تهبط الى هذا المستوى السوقى الذى يصل فيه الأمر الى التماسك بالأيدى ، فغضب العمدة من كلمة السيد بركات الناظر ، وقال له انه ليس فى حاجة الى أن يتعلم الأدب من شخص جاهل مثله ، فأجابه بركات الناظر بأنه سوف يحترمه فقط من أجل الموجودين ، فسأله العمدة ، لماذا جئت مع الوفد وانت تعلم بأننى لا أحب رؤية وجهك مثل غراب البين ؟ فقال السيد بركات الناظر انه لم يجىء للوقوف على بابه ، بل ممثلا

لنصف البلد الشرقى ، فوقف العمدة ولوح بيده قائلا ان سكان النجوع الشرقية لا يهمونه فى شيء ، وان المدرسة الاعدادية ستقام هنا ، بجوار بيته ، وليفعلوا ما بدا لهم ، ثم تركهم واتجه الى داره وهو يزمجر بكلمات فهموا منها ان مطلب الوفد مرفوض ما دام يضم بين أعضائه تربية المرآة !



غص ديوان الحاج سلامة بالناس يمدون الأعناق يتلقفون ما يتفوه به أعضاء الوفد ..

امتلأت الدكك فى الداخل فاضطر الكثيرون الى الجلوس على الدكك الخارجية تحت صف الأعمدة الطينية التى تتقدم البيت ..

روى السيد موسى ما حدث بلهجة آسفة ، وقال ان العمدة رحب بمطلبهم فى البداية لولا ان ابن زعيم النجع الأوسط أثاره فأفسد عليهم اللقاء ، وأيده فى ذلك السيد عوض الله ، لكن السيد بركات الناظر قال بلهجة من يخطب ان مطلبهم كان سيرفض وما حكاية ابن زعيم النجع الأوسط الا حجة تذرع بها العمدة ، واقترح تأليف وفد يقابل المسئولين فى عاصمة المحافظة ويطرح أمامهم القضية ، واعترض السيد موسى – يؤيده السيد عوض الله – بأن هذا الوفد سوف يتسبب فى عداوة بين نصف البلد الشرقى وبين العمدة ، فقال السيد بركات الناظر نحن نرحب بهذه العداوة ما دام العمدة يتحيز للنصف الغربى – وهو منه – الذى يستأثر بجميع المناصب والمرافق الهامة فى البلد : العمودية وأكثر المشايخ وغالبية أعضاء الاتحاد الاشتراكى فضلا عن محطة طلمبات الرى والوحدة الصحية والجمعية الزراعية ومكتب البريد وها هو يريد الاستئثار بالمدرسة الاعدادية أيضا ..

دار لغط بين أهل الرأى ، جماعة تؤيد تأليف الوفد ، وأخرى تعارضه . وبعد أن تعبوا طلبوا من الحاج سلامة أن يقول رأيه ..

كثرت التجاعيد الدقيقة على وجه الحاج سلامة ، حينما اتسعت ابتسامته ، وقال ان العمدة هارون أبيض القلب ، وسوف يعود اليه رشده بعد أن يهدأ ، وعليهم الآن أن يمهلوه لثلاثة أيام ، فاذا جاء رسول من عنده يوافق على أن تكون المدرسة فى النجع الأوسط ، فأهلا وسهلا ، وان لم يجىء ، علينا أن نتحرك ..

انفض الناس على هذا الرأى ، لكنهم تمهلوا فى سيرهم حين وقعت أبصارهم على (نعمة) تحمل جرتها ، شفتاها انفرجتا فى مشروع ابتسامة ، لم يواصل أحد السير الا بعد أن توارت فى الدرب المؤدى الى الموردة ..

★★★

فى كل صباح ، يركب الحاج سلامة حمارته البيضاء ، بطيئة السير ، ويتجه الى حقله فى أقصى الطرف الشرقى للبلد .. وطوال الطريق يسير بجواره حفيده الأصغر (صادق) سيرا على قدميه خوفا عليه من السقوط .. يوصله الى الحقل ، ثم يعبر النهر متجها الى مدرسته الثانوية فى البندر .

الحاج سلامة لا يفعل شيئا فى الحقل سوى أن يجلس على سرير صغير من الحبال المضفورة ، فى مدخل الجنينة الصغيرة التى ورثها عن أبيه ، حوله يجلس ثلاثة أو أربعة من كبار السن الذين عجزوا عن العمل ، من أصحاب الحقول المجاورة .. أحيانا ينهمكون فى لعب السيجة ، وأكثر الوقت يثرثرون عن أحوال الدنيا التى تغيرت ، والناس الذين ازداد عددهم ، وكيف ان بعض مناطق البلد كانت منذ نصف قرن فقط ، مغطاة بالنباتات البرية المتوحشة ـ

مثل العاقول ـ ترتع فيها الذئاب والثعابين ، فاذا بها الآن تغص بالحقول والجنائن مما يدل على أن الدنيا قاربت على نهايتها ٠٠

أملاك الحاج سـلامة تزيد قليلا عن العشرة أفدنة ، وجنينة صغيرة بها بضع شجرات من المانجو ، وثلاثة أحواش من النخل تعتبر من أكبر أحواش النخل فى البلد ، ورث كل هذا عن أبيه باستثناء حوش النخل البحرى الذى غرس شجره بيديه ، وباستثناء الفدانين فى الأرض الجديدة على شاطىء النهر ٠

منذ بضع سنوات ، وبعد موت ولده الوحيد ، كتب لكل واحدة من بناته المتزوجات ، ستة قراريط ، وأوصى بأن يقسم الباقى على أحفاده الثلاثة ـ منصور وأحمد وصادق ـ بالتساوى ٠٠ ولما قال له صديقه السيد موسى ان هذا غير مقبول شرعا ، وسوف تحاسب عليه بين يدى الله يوم القيامة ، أجاب بأن الأولاد الذكور فقط هم الذين سوف يحملون اسم الأسرة ، وان الله غفور رحيم ٠٠

الحاج سلامة يخرج الزكاة فى يوم المحصول ، سواء كان من الحبوب أو من التمر ، وبسبب خبرته فى الزراعة التى ورثها عن آبائه ، يسميه الناس فى نصف بلدنا الشرقى « شيخ المزارعين » ، ولما كان من يملك أكثر من ثلاثة أفدنة فى بلدنا يعتبر من كبـار الملاك ، فقد أطلق عليه رئيس الجمعية الزراعية فى بلدنا لقب : رأس الاقطاع !

حينما جاء العمدة هارون لزيارة الحاج سلامة فى اليوم التالى لزيارة الوفد ، كانت (نعمة) تجلس تحت شجرة المانجو الكبيرة، عليها الثوب الأحمر البسيط ، يضم جسدها السمهرى ، قال بعض الخبثاء ان نـظرتها الآسرة هى التى أصابت العمـدة فى الصميم ، وجعلته يرتكب واحدة من أكبر أخطائه فى رأى أهل البلد ٠

كان والدها ـ عم جبريل ـ يأكل من اناء فخارى به خبز مفتت فى أوراق اللوبيا المطبوخة ، وهى تشمر عن ساعديها البديعين ، تقشر له البصل الأخضر ، بعد أن تغسله فى القناة الصغيرة التى تمر بجوار شجرة المانجو الكبيرة ٠٠

من ينظر الى وجه عم جبريل الهضيم ، لا يصدق ان علاقة ما تربطه بوجه نعمة الخمرى ، شديد النعومة ، الذى قيلت فيه القصائد من شعراء القرية ، تصف عينيها الواسعتين بأهدابهما الطويلة التى شبهوها بالحراب التى لا تصيب فى الجسد الا « القليب » !

نعمة ، رغم سعادتها بهذه القصائد ، لا تعبأ بقائليها ٠٠ فهى تعرف ان أحدا منهم لن يرضى بالزواج منها وهى الغريبة عن البلد ٠٠ والحق انه لا أحد يعرف من أين جاء عم جبريل الى بلدنا ـ رغم أنه أصبح من معالمها ـ هو نفسه يهز رأسه ، حين يسأل ، ويشير الى الشمال فى صمت ٠٠ والاشارة الى الشمال فى بلدنا قد تعنى محافظة قنا ، وقد تعنى محافظة المنيا ، وربما عنت الأصقاع المجهولة المسماة بالوجه البحرى ! ٠٠ وثمة همس بأن عم جبريل قد قتل شخصا ما فى شبابه وهرب من بلده وهو مطلوب الآن للثأر أو للمحاكمة ، لكنه لا يزيد عن همس ٠٠

يقول كبار السن الذين اعتزلوا العمل ، انه فى مثل عمرهم ، لكنه يواصل العمل بنشاط الشباب ، لأن الله سبحانه وتعالى ـ الذى يرزق الطير التى فى السماء ـ أعطاه الصحة لكى يرتزق بها ٠٠ والحاج عبد الحميد الراجح ـ الذى يبالغ فى أقواله ـ يقول انه فى التسعين الآن ، وحين كان فى الخامسة عشرة ، رأى عم جبريل هذا يعمل فى حقل الحاج سلامة ، بنفس عمره الحالى ، وبنفس الثوب الأزرق ذى الرقعة السوداء على الصدر ! ٠٠ ويقول رئيس الجمعية الزراعية ان رأس الاقطاع ـ الحاج سلامة ـ ورثه عن أبيه ! ٠٠

أصحاب الحقول المجاورة ، يحسدون الحاج سلامة على عم جبريل ·· فهو يعمل فى الحقل من الصباح الى المساء ويخلص له أكثر مما يخلص له أحفاده وبناته ··

تزوج عم جبريل فى شبابه من ابنة أحد الغرباء ، فأعطاه الحاج سلامة هذا البيت الصغير الذى يقيم فيه ، أنجب عشرة أبناء وبنات ، ماتوا جميعا ولحقت بهم الأم ولم يبق غير نعمة ··

جلس العمدة هارون بجوار الحاج سلامة ، على سرير الحبال ، تحت أفرع شجرة المانجو الكبيرة ، يحف بهما كبار السن من أصحاب الحقول المجاورة ، ومضيا فى حديث باسم :

ـ كبرت على آخر الزمان وعملت فيها عمدة يا هارون ؟ !

ـ أكبر عليك انت يا حاج سلامة ؟ ·· من الذى علمنى « النصب » غيرك ؟!

ـ طيبون يا عمدة فى نجعكم ، وكيف حال الأولاد ؟

ـ الولد الكبير « يوسف » أراد المجىء معى ، لما عرف بأنى قادم لزيارتك ، لكنى منعته ··

فى المرة القادمة هاته معك ، عندى بلح مخزون من نوع « السكوتى » الممتاز ، سأعطيه ربع أردب هدية منى ·

ـ مستعد أوصل له نصيبه ·

ـ قلت لك أنا لا أهدى منه الا للأحباب ، يوسف فقط هو الذى يأكل منه !

ـ أى حشنى كلامك والله يا حاج سلامة ··

ـ دعك من هذا اللعب الذى تعودت عليه منذ صغرك ، وقل لى أين ستقيم المدرسة الاعدادية ؟

ـ أنا مستعد لأى طلب تقول عليه ، لكن ابعد عنى بركات الناظر ، أول عينى ما تقع على غراب البين ، دمى يغلى ٠

ـ يعنى نقول للناس أيضا ستكون فى النجع الوسطانى ؟

ـ أنا موافق ، لكن قبلها ، لى عندك طلب ٠

ـ لو طلبت شجرة المانجو الكبيرة ، لقلعتها لك من جذورها يا حضرة العمدة ٠٠

ـ أريد أن تعطينى عم جبريل ٠٠

ـ جبريل ؟

نطقها الحاج سلامة وتجاعيد وجهه تمـوج وهو يحدق فى وجه العمدة الذى واصل فى حرارة :

ـ العمال الزراعيون نادرون هذه الأيام ، وانا أحتاج اليه للعمل فى زرعى ٠٠

ـ وانا أحتاج اليه يا عمدة ٠٠

ـ انت عندك أحفادك الثلاثة ٠٠

ـ منهم اثنان فى المدارس ٠٠

ـ أكبرهم ، منصور ، لم يتعلم ، صحته جيدة وهو متمرن على شغل الأرض ، وانت يا حاج سلامة تستطيع أن تأتى بعشرين واحدا مثل عم جبريل ، أما انا ، فانهم يهجروننى بسبب عصبيتى الشديدة التى تعرفها ٠٠

ـ لا تصدق اننى أستطيع تعويض جبريل الذى نشأ فى بيتنا وأصبح واحدا منا ..

ـ سأعطيك مكانه « ياقوت » الذى نشأ فى بيتنا وعرفنا وعرفناه ..

ـ ولماذا لا تحتفظ بياقوت وأحتفظ أنا بجبريل ؟

ـ ياقوت لم يعد يحتمل عصبيتى ، لكن جبريل ـ وأنا أعرفه مثلما تعرفه ـ هادىء الطبع ، وسوف يحتملنى ، ثم اننى لم أطلب منك شيئا قبل هذا ..

قال الحاج سلامة لنفسه ، الرجل وافقنا على أن تكون المدرسة فى النجع الأوسط ، رغم انه عمدة ويستطيع أن يفعل ما يشاء بما له من نفوذ عند الحكومة ، ثم انه صديقنا وحبيبنا ، وعلى كل حال سوف يعوضنا عن جبريل بياقوت .

ـ انت تعرف حبى لك يا حضرة العمدة ..

ـ وعارف أيضا انك لن ترد لى طلبا ..

وهكذا تم الاتفاق على ن تنتقل نعمة الفاتنة ، مع أبيها ، من طرف بلدنا الشرقى الى أقصى طرفها الغربى .

★★★

حينما وصلت هذه الأخبار الى السيد غانم الذى يحب نعمة وتحبه ، كاد يجن ..

والسيد غانم فى الخامسة والعشرين ، نحيل الجسد ، يميل الى الطول ، شديد السمرة ، له أسنان بارزة قليلا لا يستطيع معها غلق فمه ، ويمكنك أن تلم بملامحه اذا نظرت الى تمثال الفرعون المارق المسمى باخناتون ، وهو من الفرع الفقير لقبيلة الحاج سلامة .

يقول شيخ الكتاب ـ وهو ممن يستمعون الى نشرات الأخبار فى راديو متجر السيد عوض الله ويعتبر نفسه من كبار المثقفين فى البلد ـ ان والد غانم مات جوعا قبالة مدينة أسيوط أثنـاء سفره الى القاهرة سيرا على الأقدام ، وان جده دفن فى مقبرة جماعية ببلاد الشام حينما كان مع فيلق العمال المصريين الذين جمعتهم السلطات البريطانية من القرى ـ كمتطوعين ! ـ ليحفروا الخنادق لجنودها فى الحرب العالمية الأولى ، وان والد جده مات أثناء انهماكه فى حفر قناة السويس فى عهد الخديوى اسماعيل ، لكن السيد غانم ينكر كل هذه الوقائع ويقول انهم ماتوا غرباء فعلا ، لكن لأسباب أخرى يرفض ذكرها ٠٠

يملك السيد غانم بيتا صغيرا يقيم فيه مع والدته ، كما يملك عجلا صغيرا أحمر عمره أربعة شهور فقط ، ونعجة سوداء ، وحمارا أبيض ، وثلاثة كلاب ٠٠ وهو مشغول الآن فى تسمين العجل الأحمر لكى يبيعه بعد سنة ونصف ويتزوج من نعمة ، مكتفيا بالنعجة السوداء والحمار الأبيض ـ مؤقتا ـ الى أن يدخر مبلغا جديدا يشترى به عجلا آخر ـ مرقطا هذه المرة ٠٠

يتعامل السيد غانم مع أعيـان بلدنا ـ بمـا فيهم العمـدة والمشايخ ـ من موقع الند ٠٠ يقول انه ما دام لا يعمل عند أحد ، فهو من الأعيان ٠٠

فى كل أسـبوع تقريبـا ، يشترى نصف قيراط نعناع أو باذنجان أو كوسة أو ملوخية أو بصل ـ من أحد المزارعين ، وفى كل صباح يملأ منه مقطفين يضعهما فوق حماره الأبيض الذى يسميه « الأبجر » ـ على اسم حصان عنترة بن شداد ـ ويذهب الى سوق البندر ٠٠ يبيع ما معه ثم يأكل فولا وطعميـة وسـلطة خضراء ، ويشترى ما يحتاج اليه هو ووالدته من سكر وشاى ومعسل وغير

ذلك ، بحيث يبقى ثمن العجل خالصا ـ باذن الله ـ لنفقات العرس فقط ، ثم يعود الى البلد من أذان العصر ، وهو يسمى نفسه « المقاول » ٠٠

بعد أن يطعم عجله ونعجته وحماره من قراريط البرسيم التى يشتريها من المزارعين، ويطعم كلابه الثلاثة، يتناول عشاءه مع والدته ويذهب من فوره الى بيت عم جبريل المجاور ٠٠ يجلس هو ونعمة وعم جبريل حول وقاد النار فى ليالى الشتاء الباردة ، وفى الساحة أمام البيت فى ليالى الصيف الحارة ٠٠

الشاى الثقيل الذى تجهزه نعمة ، يعمر الرأس ، والجوزة البللورية الجديدة ـ التى اشتراها غانم من البندر ، والتى لا مثيل لها فى البلد ـ تعطر الجو بدخان المعسل ، ونعمة تضحك من قلبها حينما ترى غانم ينهمك فى تصوير أعيان البلد تصويرا كاريكاتوريا مضحكا ٠

السيد غانم يتعامل مع نعمة كأنه أخوها ٠٠ أحيانا ينهرها دون أن تغضب ، وأحيانا تمتنع عن تلبية طلب له فيلوذ بالصمت ، وعم جبريل يوفق بينهما ، وفى كثير من الأحيان يرفض التدخل ٠٠

فى السنة التى برز فيها صدر نعمة وأصبح الثوب الرقيق يتماوج على جسدها بطريقة لفتت الأنظار ، دأب ستة أو سبعة من الشبان على السهر كل ليلة مع عم جبريل فى بيته ، منهم أحفاد الحاج سلامة الثلاثة ، فطلب منهم غانم ألا يدخلوا البيت ، وكاد الأمر يتطور بينهم لولا أن عم جبريل ذهب الى الحاج سلامة وأفضى اليه بمخاوفه ، سيما وانهم من أبناء « الأعيان » الذين قد يسببون له المشاكل ٠٠

طلب الحاج من أحفاده ـ بحزم ـ أن يمتنعوا فامتثلوا بلا مناقشة ، ثم أرسل فى طلب الشبان الآخرين ، الواحد بعد الآخر ،

وطلب منهم بلهجة أبوية أن يمتنعوا عن الذهاب الى بيت عم جبريل منعا للشبهات ٠٠

أستجابوا جميعا لدعوته باستثناء (على) ابن السيد عوض الله ، فاضطر الحاج أن يشكوه الى أبيه ، فامتنع ٠٠

لكن ابن السيد عوض الله همس فى أذن الحاج سلامة بأن (غانم) يسهر كل ليلة هناك ، فاستدعى الحاج عم جبريل وسأله ، فأجاب بأن (غانم) مثل ابنه تماما ، فأحس الحاج سلامة بأن مشروعا للزواج يلوح فى الأفق فلم يعلق ٠٠ بل سر بينه وبين نفسه لأن اندفاع جسد نعمة أقلقه فى الفترة الأخيرة ، ولما كان من غير المنتظر أن يتقدم أحد من البلد للزواج منها بحيث يرضى عنه الحاج سلامة . فان وجود مثل هذا الجمال الذى يربك العقل ــ كما يقول ابن السيد عوض الله ــ بلا زواج ، قد يسبب له الكثير من المشاكل مستقبلا بصفته المسئول عن حمايتها ٠٠

حينما عرف غانم ان نعمة سوف تنتقل مع أبيها الى بيت العمدة ، فى آخر البلد ، دارت الدنيا به ٠٠ فالأمر يقتضى الآن أن يلجأ الى أحد الأعيان لمنع هذه الكارثة ٠٠ لكنه غير محبوب منهم جميعا بما فيهم قريبه الحاج سلامة ٠٠ كلهم يتهمونه بالغرور وسوء الأدب ، والعمدة نفسه أعلن أكثر من مرة ، انه لولا خوفه من أن يخسر صداقة الحاج سلامة ، لزج به فى سجن الحكومة مع المجرمين ، لأن انعدام التربية وصل به الى الحد الذى لا يقف له اذا رآه مارا بحماره ، بل ولا يجشم نفسه مشقة انزال ساقه اليمنى من فوق اليسرى ٠٠ وكبير تجار البلد السيد عوض الله يقول انه لا يغيظه شىء فى الدنيا مثلما يغيظه لقب « المقاول » الذى يعطيه لنفسه ، والحاج سلامة لا ينسى له رفضه أن يعمل فى حقله رغم الاغراءات الكثيرة ، بحجة انه لا يريد أن يعمل عند أحد كيلا يفقد الشوكة

المشرعة فوق ظهره – مشبها نفسه بسمكة (القرقور) ذات الشوكة الغليظة ، حادة الطرف ، لا يجرؤ أحد على الامساك بها ويتجنبها الصيادون خوفا على شباكهم ··

ضغط السيد غانم على نفسه وذهب الى الحاج سلامة فى بيته ·· جلس على دكة تواجه التى يجلس عليها الحاج تحت السقيفة الداخلية ، وقال له الحاج انه أعطى كلمته للعمدة ولا يستطيع التراجع عنها ·· ولما قال له غانم اننى سوف أتزوج من نعمة ، وان هذا يهمك ، أجاب بأنك غير مستعد للزواج قبل سنة ونصف ، والبنت كبرت الآن ، ثم ان العمدة هو الذى أصبح مسئولا عن تزويجها ، وقطعا سوف يعثر على من يصلح لها ··

بعد فترة صمت ، تأمل فيها غانم الدجاج والبط والأوز والحمام الذى يملأ صحن دار الحاج سلامة ، قال انه يخشى عليها من العمدة نفسه ، فتوقفت أصابع الحاج سلامة عن اسقاط حبات المسبحة وتقاربت تجاعيد وجهه فى خطوط طولية بين حاجبيه ، وخرج صوته مخنوقا ومرتعشا وهو يقول أنه يرفض سماع مثل هذا الكلام المعيب عن العمدة المحترم الذى شناب شعر رأسه ولم يسمع أحد عنه مايشين ·

ذهب غانم الى السيد عوض الله الذى كان يتناول طعام العشاء ، فقال له انه لا يجب أن يتدخل فى هذه الموضوعات لأنه مشغول فى أعماله التجارية ، فذهب الى السيد موسى الذى قال ان للعمدة أولادا وبناتا وأحفادا ومن غير المعقول أن يشوه سمعته فى البلد بعد هذه السن ، واستقبل السيد بركات الناظر (غانم) فى بيته وشربا الشاى معا تحت السقيفة البحرية رقيقة الحال ، وقال له معك الحق يا غانم فى تخوفك لأن قاطع الطريق – يعنى

العمدة ـ لن يتورع عن الفتك بالفتاة حيث أن المرحوم والده كان زئر نساء ، وهو نفسه يسير على الدرب ، وفى شبابه كانت له مغامرات مع نساء « الغوازى » فى البندر ، وذهب السيد بركات الناظر لمقابلة الحاج سلامة ، وجده مضطجعا على سريره فى حجرة نومه على أثر وعكة ، لكنه رفض مناقشة الموضوع ، قال انه يثق فى العمدة هارون مثلما يثق فى نفسه ٠

أسكن العمدة نعمه وعم جبريل فى البيت الذى كان يشغله ياقوت ، وقال الذين ـ رأوا نعمة تدخل البيت الجديد الذى يشبه الجحر ، ان عينيها كانتا بلون الدم لطول البكاء ، وان عم جبريل كان يدور حول نفسه كمن مات له ولد ..

طلب العمدة من زوجته فى اليوم الأول ، أن ترسل لهما طعاما من نفس الطعام الذى يأكلون منه ، وقضى شطرا كبيرا من الليلة الأولى معهما فى صحن الدار تحت سقف من البوص اليابس لكى يزيل عنهما الوحشة ، لكن عم جبريل انزعج من تبسط العمدة الشديد وتودده الى نعمة ، وفى الصباح أسر الى أحد الخفراء ـ وكان من النجوع الشرقية ـ بأن ينقل الى الحاج سلامة مخاوفه ..

حين نقل الخفير الرسالة الشفوية ، ارتعش جسد الحاج سلامة فحملوه من تحت شجرة المانجو ووضعوه فوق سرير ، وترك الناس حقولهم وساروا وراءه كأنهم يسيرون فى جنازة ، أرقدوه فى حجرة نومه ، وغطوه بلحافين وثلاث بطاطين ، لكن الرعشة لم تتوقف ، ولم تجد أكواب ـ حلف البر والحرجل والدمسيسة ، ولازم الفراش لثلاثة أيام وهو يرتعش ويئن ويتوجع .

وهجر السيد غانم عمله وقبع فى الساحة أكثر ساعات النهار، لا يرد على أسئلة أحد ، يسند ظهره الى جدار بيته ، بيده الخيزرانة

التى يسميها « العجيبة » يرسم بطرفها خطـــوطا فى التراب ثم يمحوها ويعود ليخطها من جديد ، وكلابه الثلاثة تقعى أمامه على مؤخراتها ، توتر آذانها فى اتجاهـــه ، تنظر اليه تارة وتميـــل بأعناقها ناظرة الى الخطوط التى يرسمها على التراب تارة أخرى كأنها تتعب من صمته هذا الطويل المفاجىء ٠٠

ذات يوم أفاق فجأة ، وثنى عنقه الى الخلف ، يحـــدق فى السماء ، ثم قام من فوره وامتطى صهوة حماره (الأبجر) ، وقطع به بلدنا من نصفها الشرقى الى أقصى نصفها الغربى ٠٠

طرق باب صديقه ابراهيم ــ وهو « مقاول » مثله ، ويقيم فى نجع العمدة ــ وطلب منه أن يســـاعده فى تنفيذ الخطـــة التى وضعها ٠٠

قام السيد ابراهيم باتصالاته فى سرية تامة ، عن طـريق شقيقته ، ولم يمض ربع النهار الأول حتى كان غانم يجتمع بزوجة العمدة هارون فى بيتها ويحذرها من الخطر الذى يحدق بها ، من جمال نعمة وفتنتها ٠٠

كانت زوجة العمدة قمحية اللون ممتلئة الجسم ، ترتدى ثوبا حريريا أصفر ، فوق رأسها شال من القطيفة الحمراء جلست فوق أريكة قديمة ، وأشارت اليه بالجلوس فوق أخرى ، استمعت اليه فى هدوء دون أن تنطق بكلمة واحدة ٠

يقول الذين يحبون الخوض فى سيرة الناس ، ان زوجة العمدة تعمدت أن تستدعى نعمة الى بيتها ، لكى تكنس لها وتطبخ وتعجن وتخبز ، ومضت ترقب العمدة ، فلاحظت أن نظراته الزائغة تتابع حركتها فى داخل البيت ، وانه لا يخرج الى الديوان كما كان يفعل، بحجة أنه أصبح يضيق بالناس ٠٠

أرسلت الزوجة فى طلب أكبر أشقائها وأفضت اليه بالخطر المحدق بها ، لكنه رفض أن يتدخل فى هذا الموضوع الحساس ، ولما جاءت ابنتها الكبرى لزيارتها ، أخبرتها بما تعانيه ، نقلت الابنة هذا الحديث الى زوجها ٠٠

يضيف هؤلاء ان العمدة لم يعبأ فى أول الأمر بأزواج بناته الذين جمعتهم الزوجة فى بيتها ، تناثروا على الأرائك القديمة فى صحن الدار ، وواجهوه — بأدب — بأقاويل الناس ، تارة العمدة ، نهرهم ، قال أنه يضع هذه الأقاويل تحت قدميه ، ولكنه اهتز حين بكت ابنته الكبرى ٠٠

لكن بعض الخبثاء يقولون انه لم يهتز حقا الا بعد أن هددت الزوجة بأن تذهب الى بيت أهلها ومعها الأفدنة الخمسة عشرة — ما لم تعد نعمة من حيث جاءت ٠

صمت العمدة طويلا ، قبل أن يشترط أن تبقى نعمة وعم جبريل عندهم لفترة من الوقت كيلا يظن الناس به الظنون لو أعادهما بهذه السرعة ، فوافقت الزوجة ، كما وافقت البنات والأصهار ٠ ومنذ هذه اللحظة ، لم يعد العمدة يقضى سهراته عند نعمة وعم جبريل الى مطلع الفجر ، كما كان يفعل ٠٠

★★★

لم يخطر ببال العمدة ان (غانم) كان وراء هذا ٠٠ وقر فى ذهنه ان الذى أطلق هذه الشائعات وحرض عليه زوجته وبناته وأصهاره ٠ هو غراب البين ، بركات الناظر ، وان العجوز الخرف، حطب جهنم ، الحاج سلامة ضالع فى هذا ، يساعدهما الجرادة الصفراء المسمى بالسيد موسى ، وابن أم نعجة المسمى بالسيد عوض

الله ، وحلف بالطلاق أن يغيظ الجميع باقامة المدرسة الاعدادية فى قطعة الأرض المجاورة لبيته ·

ارتجت النجوع الشرقية حين وصلتها هذه الأخبار ·· تكلم الناس مع بعضهم فى الحقول وفى الأسواق وفى المساجد ، لوحوا بالأيدى ، تعالت أصواتهم ، ثم زحفت جموعهم ، بعد صلاة الجمعة، الى ديوان الحاج سلامة فملأته وفاض فيضها فى الطريق ··

قال الحاج سلامة للجموع المحتشدة أنه يصلى ويصوم ويزكى وقد حج الى بيت الله الحرام ، ومن غير المعقول أن يكون حطبا لجهنم كما زعم هذا « الفلانى » المسمى بهارون ، وقال السيد موسى انه يسامح العمدة على وصفه له بالجرادة الصفراء . هدانا الله واياه وغفر لنا وله ، وقال السيد بركات الناظر ان مثل هذه البذاءات متوقعة من العمدة سليل الأسرة التى حصلت على أملاكها هدية من الانجليز — مع عائلات أخرى كثيرة مشابهة فى البلاد — مكافأة لها على توقيعها على البيان الذى يصف الزعيم أحمد عرابى بالمروق والعصيان ، فضلا عن تبليغهما عن العائلات المحترمة التى كانت تناصره وتجمع لجيشه المتطوعين والتبرعات من قرى المركز ونجوعه ··

تبليغى

وقال السيد عوض الله للجموع — وكان يرتعش من الغضب — أنه لا ينكر ان المرحومة أمه لم تكن تملك غير نعجة واحدة ، لكنه الآن — بفضل عقله الكبير — أصبح أغنى من العمدة ومن كل أسرته ·· ومع ذلك فهو يوافق السيد موسى على قوله بأنهم يجب أن يتأكدوا من هذا الكلام المنسوب للعمدة فربما هو من قبيل الشائعات الكاذبة ··

طرح السيد بركات الناظر اقتراحه القديم بتكوين وفد يقابل المسئولين فى المحافظة ، لكن الحاج سلامة — وكان قد تمائل

للشفاء لما عرف بقرب عودة عم جبريل ونعمة ـ قال يجب أن نعطى للعمدة مهلة لكى يتصرف فى اليمين الذى حلفه ، ولما كانت غالبية النجوع الشرقية تنتمى الى الحاج سلامة من ناحية النسب وتعتبره زعيمهما ، فقد وافقت على ما قاله ، وانفضت ، لكن على مضض ·

★★★

انتهز ابن العمدة الأصغر ، وهو كاتب فى السابعة عشرة ، فرصة الهدوء الذى عم النجع فى الضحى ، وتسلل الى البيت الذى يقيم فيه عم جبريل ··

كانت نعمة لحظتئذ تعصر الطماطم فى اناء فخارى ، فزعت عند رؤيته يفتح الباب – الذى لا يغلق من الداخل لسوء الضبة ـ ويضع سبابته فوق شفتيه ثم يهمس لها بأنه يحبها ··

فرد أمامها منديلا حريريا أحمر ، وقال هامسا انه اشتراه خصيصا من أجلها ··

مدت سبابتها تجاه الباب وقالت له (امشى) فاقتـرب منها ووضع يده على شعرها ، فدفعته بيديها بكل قوتها فسقط عـلى مؤخرته ، وتناولت حطبة سنط غليظة كانت ملقـاة بجوارها ، وانقضت عليه ، فزحف على أربع بسرعة ثم وقف ومرق من الباب مذعورا ··

ولم يمض أيام حتى فتح الباب ودخـل ابن العمـدة الأكبر وعيناه تبرقان فوق شاربه الكث ·· كان فى الثـلاثين ، طويل القامة ، عريض المنكبين ، متزوج ولديه أربعة أطفال ويعمل فى حقل أبيه ··

كانت نعمة تجلس القرفصاء تستعد لاشعال نار الفرن ، وقبل ان تكمل وقوفها ، انقض عليها ودار بيده حول فمها ولف الأخرى حول جسدها فشل حركتها ..

طلب منها هامسا ان تجلس ، فلما لم تستـــــتجب ، غرس أسنانه فى كتفها فثنت ركبتيها استعدادا للجلوس مغلوبة عـلى أمرها .. قبل ان تكمل جلوسها ، فتح الباب ودخل عم جبريل.. ما ان رآه ابن العمدة حتى ترك نعمة واندفع مهرولا ناحية الباب ..

كان ابن العمدة الأصغر قد وشى بأخيه حين رآه يترك الحقل فجأة ويتجه الى النجع .. راقبه الى ان رآه يدخل الدرب الذى يقع فيه بيت عم جبريل ..

وانهال العمدة هارون على ولده الأكبر صفعا وركلا فى داخل بيته . أمام والدته وأمام عم جبريل ، فألقت المرأة بنفســها بين زوجها وولدها ، فوقعوا جميعا على « المزيرة » فسقط منها زيران، تحطما وسالت مياههما فابتلت ثياب المرأة ، وهرب الابن الى حجرة داخلية وأغلق بابها عليه ..

وظل العمدة يسبه بصوت خافت جدا لفترة ، ولما هدأ ، انتحى بعم جبريل جانبا وقال له ان الله أمر بالستر ، وأنه سوف يعوضه بأى شىء يطلبه ، ولو أراد بقرة من أبقاره فانه سوف يأمر له بها فورا .. ولم يقل عم جبريل شيئا ، شبك يديه خلف ظهره ، وخرج من البيت وعنقه النحيل ، كثير التجاعيد ، متجه الى أسفل ينظر بين قدميه كأنه يبحث عن شىء .

واتسعت عينا نعمة رعبا وهى ترى الشبح عليه رداء أسود، شاله البنى – الذى بدا أسود فى الظلام – يدور فوق عمـــامته فيداريها ، تسلل من الباب وأغلقه وراءه فى حذر ، كادت تصرخ لولا ان الشيخ قال لها هامسا :

الشبح

ـ انا غانم يا نعمة ٠٠

تعانقا دون شعور ، بكت نعمة ، جاء عم جبريل من الداخل، عانق (غانم) ، تكلموا ثلاثتهم فى وقت واحد بأصوات هامسة وهم يلهثون ، قال غانم أنه نجح فى التسلل بواسطة صديقه (المقاول) ابراهيم ، وبواسطة الخفير ـ ابن النجوع الشرقية ـ أوصيا عليه الخفراء فتعاطفوا معه ٠٠

بشرهما بقرب رحيلهما الى بيتهما القديم حيث الأحباب والجيران . . قال عم جبريل فى حزن أنه لم يكن يتوقع أن يفرط فيه الحاج سلامة بهذه السهولة بعد عشرة العمر ، ولو كان يعرف بلدا غير « الدراويش » لرحل اليها من ساعته ، وواساه غانم بأن « ياقوت » يعمل فى حقل الحاج سلامة ساخطا ، يعتقد ان مكانته هبطت بعد ان كان يعمل فى حقل العمدة ، وقالت نعمة ان اليوم الذى تعود فيه سيكون يوم عيد ، وكانت قد ارتدت الثوب الأبيض ذا الورود الحمراء الكبيرة الذى أهداه لها غانم قبيل رحيلها ، وتكررت زيارات غانم السرية ، وفى احدى الليالى كاد أمره يفتضح حينما حاصرته الكلاب فى الدرب الضيق أمام البيت ، لولا أنه دخل بظهره ، ساعده ان الباب فاسد الضبة ٠

★★★

استدعى الحاج سلامة حفيده صادق وطلب منه أن يركب الحمار الرمادى الذى يشبه الجواد ، بعد أن يلجمه بلجام النيكل، ويضع الفروة البيضاء فوق السرج ذى القطيفة الزرقاء ، ويذهب الى حضرة العمدة هارون ويقول له ان جدى عاتب عليك لأنك لم تكذب الشائعات التى تقول انك قررت اقامة المدرسة الاعدادية بجوار بيتك ، رغم مضى أكثر من عشرة أيام ، كما لم ترسل لنا (جبريل)

وابنته نعمة ، ثم استدرك الحاج وقال لحفيده اذكر للعمدة اسم جبريل فقط ولا تذكر اسم نعمة ٠٠

اعترض السيد بركات الناظر وقال لصـادق لا تقل للعمدة ان جدى (عاتب) عليك ، بل قل جدى « يندرك » ولابد من ذكر اسم نعمة قبل اسم عم جبريل ٠

ارتفع صوتا السيد موسى والسيد عوض الله فى وقت واحد ٠٠ طلبا من صادق أن ينقل للعمدة ما قاله جده دون زيادة ٠٠ لكن السيد بركات الناظر رفض قولهما ، فاقترح السيد موسى أن يقول جدى (زعـلان) منك ، ولا داعى لذكر نعمة مع اسم أبيها ٠

طلب الحاج سـلامة من حفيده أن يلف العمـامة الكبيرة - احتراما للعمدة - ولا يذهب اليه عارى الرأس ، وان يخـاطبه بما يستحق من توقير ٠

قرر صادق أن يزور نعمة وعم جبريل أولا ، استقبلته نعمة بسعادة حقيقية ، هو الوحيد فى أحفاد الحاج سلامة الذى يتعامل مع أبيها كأنه عمه ، ربما لأنه أضعف اخوته صحة ، فهو شاحب الوجه دائما ، نحيل الى أقصى درجة ، لكنهـا تعرف ان أباهـا (وغانم) يحبانه أكثر من أخويه ، وتأثر عم جبريل حين رآه ، وقال له انه لم يكن يعرف انه رخيص الى هـذه الدرجة فى نظر جده ، وانه سوف يصبر للمقدر والمكتوب ٠

ارتبك صادق ، ولم يجد ما يقوله فترك بقية كوب الشاى ، وركب الحمار بسرعة ، واندفع به الى الطريق ، وما لبث ان وجد نفسه يدخل الساحة الواسـعة التى تتقدم ديوان العمدة والتى يسمونها « أرض الطاهر » نسبة الى مالكها القديم ، ويسـميها شيخ الكتاب : « أرض الطغيان » !

رأى العمدة يجلس فى صدر المجلس ، مكفهر الوجه ، عليه جلباب بنى فضفاض ، فوجىء به صادق يستقبله بفتور ، مد له أطراف أصابعه وهو جالس ، لم يطلب منه الجلوس أو يأمر له بالشاى ويسأله فى ود عن أحوال جده كما كان يفعل من قبل ، بل خاطبه بلهجة من يحاول كظم غيظه :

– اسمع يا بنى ٠٠ قل لجدك العمدة يسلم عليك ، ويقول لك أنا كنت عند كلمتى لولا اننا سمعنا كلاما فارغا قاله الشخص الذى يسمونه بركات الناظر ، زعم انه هزم العمدة وأرغمه على أن تكون المدرسة فى النجع الأوسط ، هذا الكلام سيصبح عارا فى حقى لو تنازلت ، قل لجدك أنا مستعد لك بأى طلب ، أما موضوع المدرسة ، فليسامحنى فيه ٠

فكر الحاج سلامة طويلا فيما نقله اليه حفيده ، وقال السيد موسى متعجبا ، هذه أول مرة يرفض فيها العمدة مصالحتنا طوال هذه المدة ، والرأى عندى أن نعطيه مهلة أخرى ، وقال السيد عوض الله انه يعتقد أن أناسا يبثون الفتنة بيننا وبينه ، واقترح أن يذهب ثلاثة أو أربعة لزيارته والتفاهم معه ، بشرط ألا يكون فيهم السيد بركات الناظر حيث ان العمدة لا يطيقه وقد يفسد اللقاء ، فوافق الحاج سلامة ، لكنه طلب تأجيل ذلك الى بضعة أيام ٠

فى نفس الليلة اقتحم المجلس السيد بركات الناظر وقال فى حماسة انه سمع أخبارا فى الراديو سوف تقلب الدنيا رأسا على عقب ٠٠ الحكومة قررت أن تجرى انتخابات للعمد فى جميع أنحاء البلاد ، وان حق الترشيح وحق الانتخاب لن يكون قاصرا على أصحاب « النصاب » الذين يملكون عشرة أفدنة فأكثر ، بل من حق

أى انسان أن يرشح نفسه ومن حق أى انسان أن يدلى بصوته بما فيهم عم جبريل نفسه ·

أضاف بصوته الغليظ المندفع ، ان الذين كان من حقهم انتخاب العمدة فى بلدنا كلها لم يكونوا يزيدون عن الأربعين ، منهم خمسة وعشرون فى النصـــف الغربى ، ولهذا كانوا يهزموننا ويحتكرون منصب العمودية ، وما دامت الظروف تغيرت الآن ، فلماذا لا نرشح عمدة من نصفنا الشرقى ولينصرن الله من ينصره ؟

لم يصدق الحاج سلامة ان الحكومة يمكن أن توافق على جعـل الترشيح ـ والانتخاب ـ لمنصب العمودية بهـــذه الطريقـة التى ذكرها السيد بركات الناظر بحيث يتساوى أصحاب « النصاب » بغيرهم من « العوام » ·

لم يصدق الا بعد أن تأكدت الأخبار وأصبحت على كل لسان، سيما وان حفيده صادق جاء معه بالصحيفة من البندر وقرأ عليه الخبر الذى احتل ربع صفحة ، وشرح له ما غمض عليه من كلمات، يساعده فى ذلك السيد بركات الناظر ·

حزن الحاج سلامة لهذا الخبر حيث أصبح صوته الآن مساويا لصـــوت عم جبريل ·· وتحول حزنه الى دهشة وهو يرى الجموع تزحف على ديوانه من أرجاء النجوع الشرقية تطالبه بأن يرشـــح نفسه لمنصب العمودية ،حتى ان الديوان والساحة التى أمامه ضاقا بالناس ، فاضطروا الى الانتقال الى مضيفة القبيلة الكبيرة ، بساحتها الواسعة ، فى قلب النجع ·· وكان الزحام مثـــل يوم المولد الذى يقام للشيخ عامر ، على الشـــاطىء الآخر ، فى منتصف شـــهر شعبان ·

حين رأى السـيد بركات الناظر الجموع تهدر مطالبة الحاج سلامة بترشيح نفسه ، قال لها ان الحاج سلامة لا يحق له الترشيح حيث ان سنه الآن تجاوزت السن القانونية ·

امتعض أكثر الواقفين لهذا القول ، وهمس السيد عوض الله فى أذن صاحب الطاحونة السيد حامد الطويل بقوله :

ـ بركات الناظر لا يأتى بأخبار سارة أبدا ، صدق العمدة هارون حين أسماه غراب البين !

طلب الحاج سلامة من الجموع أن تنفض وتتركه لكى يفكر لها فى اختيار الرجل الصالح ليكون عمدة عليها ٠٠ ونادى الناس بعضهم بعضا : هيا بنا ودعوا زعماءنا يفكرون من أجل صالحنا ٠

لم يبق مع الحاج سلامة غير أصحاب « النصاب » ممن كان يحق لهم الترشيح والانتخاب ـ وغير السيد بركات الناظر ـ وهو ليس من أصحاب النصاب ـ وغير حفيديه أحمد وصادق ، وكانا يخدمان الضيوف ويقدمان لهم القهوة والشاى ، بعد أن انتقلوا من جديد الى ديوان الحاج سلامة ٠

كان حوالى عشرة من أصحاب النصاب ـ الخمسة عشر ـ يحيطون بالحاج سلامة ٠٠ على رأسهم السيد موسى والسيد عوض الله ، وكان ضمن الحاضرين السيد حامد الطويل صاحب الطاحونة ، والسيد عثمان الغالى صاحب أسطول قوارب الصيد ، والسيد غبريال صاحب أكبر أبراج حمام فى البلد ، والسيد طه الرمادى صاحب أحواش النخل الغزيرة كأنها الغابة ، كذلك كان شيخ البلد للنجوع الشرقية موجودا ، لكنه انصرف منعا للاحراج مع العمدة ، فضحكوا وتسامحوا معه ٠

قال الحاج سلامة ، انه على الرغم من عدم حضور بعض أصحاب النصاب ، الا انكم الآن تمثلون الأغلبية ـ فى النجوع الشرقية ـ فاتفقوا على من ترشحونه ٠

قال السيد عوض الله اننـــا نوافق على من ترشحه أنت ، أجاب الحاج سلامة بأنه يرشح السيد موسى ·

انتفض الســـيد موسى وقال أشـــهد ألا اله الا الله ، وطلب اعفاءه من هذا المنصب لأن مصير صاحبه الدرك الأسفل من جهنم مهما عدل !

قال الحاج سلامة ما رأيكم فى السيد عوض الله ، أجاب هذا بأنه لا يستطيع الاخلاص للعمودية ولتجـــارته الواسعة فى وقت واحد ·

تدخل صادق ، حفيد الحاج ، وقال ان أفضل من يصـــلح هو السيد بركات الناظر ، فأدار الجميع أعناقهم ناحية صـــادق فى صمت ، الا أن السيد عوض الله ذوى ما بين حاجبيه ، وقال الحاج سلامة لحفيده لا يصح أن تتدخل فى أمر يخص الكبار وحدهم ·· وضحك السيد بركات الناظر وهو يقول لصادق ، شكرا على حسن ظنك ، لكن من أين لى بنفقات هذا المنصب الذى يحتاج للكثير ، فضحك السيد عوض الله بصوت عال ·

اقترح السيد موسى على الســيد حامد الطويل ، صـــاحب الطاحونة ، أن يرشح نفسه ، فرفض هذا وقال انه يرشح صديقه السيد عثمان الغالى ـ صاحب أسطول قوارب الصيد ـ فاستعفى هذا الأخير أيضا ·

ووقف السيد طه الرمادى ، صاحب أحواش النخل ، طالبا تأجيل الترشيح الى اليوم التالى ، وقال اذا عاقنى عائق عن الحضور فاننى أوافق على من يختاره الحاج سلامة ·

- ٤ -

حينما وصلت هذه الأخبار الى السيد حمدى الأزرق ، ركب فرسه البيضاء وجاء لزيارة الحاج سلامة ٠

ولما كان السيد حمدى الأزرق يقيم فى بيته الذى يشـــبه القصر الصـــغير فى أقصى الطرف الشرقى الشمالى من البلد ، ولا يزور أحدا كما لا يحب أن يزوره أحد ـ لأن أهل البلد مجموعـة من الجهلة كما يقول ـ فقد سعد الحاج سلامة بزيارته واعتبر ذلك اعترافا منه بزعامته ٠

لا أحد يعرف على وجه اليقين كيف كون السيد حمدى الأزرق ثروته ٠٠ بعض الخبثاء يقولون انه كونها فى الفترة التى كان يعمل فيها موظفا بمصنع السكر ٠٠ يقال انه كان وراء حوادث السـطو التى وقعت لقطار البضاعة ، كثير العربات ، الذى يشق الصعيد من أوله الى آخره فى طريقه الى العاصـــمة ٠٠ فكثـــيرا ما أوقفت عصابات اللصوص القطار وباعت أجولة السكر وهى فوق عرباته المكشـــوفة ـ بعد أن توثق الحراس أو يوثقون أنفسهم لهـــا ! ـ للمشترين الذين يصحبون العصابات بالجمال والمراكب الشراعية!

فى قول آخر انه كون ثروته من التسهيلات التى كان يقدمها لمهربى البضائع بين مصر والسودان فى الفترة التى انتقل فيهـــا

للعمل فى عاصمة المحافظة ٠٠ وثمة من يقول ان الثروة جاءت عن طريق تجارة المخدرات ، وهناك من يزعم بأنه عثر على « زلعة » محشوة بالذهب الأثرى أثناء الحفر لاقامة أساس جدار كان قد سقط فى بيت أسرته القديم ٠

كان جده الأكبر يملك خمسة عشر فدانا باعها كلها ولم يرث أحفاده غير الفخر بأملاكه التى كانت ٠٠ ورحل والده من بلدنا ، أقام لنفسه كشكا فى البندر يزاول فيه التجارة فى الأعشاب البرية – حلف البر والحرجل والدمسيسة والسلمكة وغيرها – ثم تطور شيئا فشيئا الى أن أصبح من تجار الحبوب ، والحق ابنه حمدى بمدرسة البندر فحصل على الابتدائية – القديمة – وأصبح موظفا مهما ، أيام ان كانت لهذه الشهادة قيمة كبيرة فى الوظائف الحكومية ٠٠ لكنه كان – حمدى – يحب بلدنا ، يقول ان طبيعتها جميلة ، يعبر النهر كل أسبوع ، ليبيت فى دار جده القديمة ٠

فجأة هبطت عليه الثروة ، استقال من وظيفته ، اشترى بضعة أفدنة من مجموعة من الورثة كانوا يتصارعون عليها ويقيمون جميعا خارج بلدنا ، أقام عليها بيتا مثل بيوت البندر ، خلفه مباشرة ، أنشأ جنينة ملأها بأشجار المانجو والموز والبرتقال والجوافة والليمون مع تكعيبة عنب ، كما أقام مزرعة أرانب صغيرة – للاستهلاك الشخصى – وكان له باب صغير خلف بيته يفضى الى الجنينة ، يقول الذين رأوه انه مثل الباب الذى يفضى الى الجنة ٠

بيت حمدى لا يستضيف غير الناس الذين – كما يقول – لهم قيمة ، مثل ضباط الشرطة ، اذا جاءوا للبلد لسبب ما ، ومثل كبار الموظفين ، وثمة شائعات تقول ان بعض أصدقائه الموظفين ، الذين يأتون كثيرا لزيارته ، يحتسون معه الخمر فى بيته ، لكن هذه الشائعات غير مؤكدة والا لسقط فى نظر أهل البلد ٠

من مميزات حمدى الأزرق انه يعرف كل شيء عن تحركات الموظفين في المحافظة ، من الذى صعد ومن الذى هبط ، وهو لا يقرأ من الصحيفة غير صفحة الوفيات لكى يؤدى الواجب مع أهل المتوفى ، وغير الأخبار المتعلقة بأفضل الطرق لاستثمار الأمـــوال دون بذل مجهـــود ، وقـــد وجـد الحـل فى مشاركـة حـوالى عشرة من صغار التجـار الذين يشترون جنائن الفاكهـة فى بلدنا والقـــرى المجاورة ويصدرونها الى القاهرة ٠

وحين وقف السيد حمدى الأزرق بفرسه البيضاء أمام ديـوان الحاج سلامة ، سارع اليه حفيدا الحاج ، أحمد وصادق ، وأمسكا بلجام الفرس ، فهبط فى حيوية ، رغم جسده المدملج ، وجلبـــابه الحريرى الأنيق ، مثل جلاليب اهل البندر ، يرفرف فى الهواء ، وسلم على أحمد وصادق وهو يقول لهما بلهجـــة ودود : مرحبـا بالبكوات ، هيا شدوا حيلكم فى التعليم لكى تحصلوا على الشهادات العالية وتخدموا بلدنا ٠٠

ـ ~~هكذا ما نفكر فيه ٠٠~~

وقال له الحاج سلامة كأنه يستشيره :

ـ هل سمعت بتراجع العمدة يا حمدى بك ؟

ـ سمعت ، وانا من رأيى أن يرشح نصفنا الشرقى ، رجلا للعمودية يكون صالحا ويستطيع أن يتفاهم مع الحكام ويعمل لصالح البلد ٠٠

ـ هكذا ما نفكر فيه ٠٠

ابتسم الأزرق بوجهه النحاسى السمين الناعم الذى يشبه ـ كما يقول شيخ الكتاب ـ وجوه الناس الذين يأكلون اللحم يوميا وقال :

ـ انا عازمك عندى على العشاء يا حاج سلامة ٠٠

– لا مقدرة لى على الركوب ، وأنت تعرف ··

– أنت تذهب كل يوم الى حقلك ·· هو نفس المشوار ·

– الطعام الدسم يتعبنى ·

– لا يهمنى الطعام ·· أريد أن أفخر أمام الناس بأن الحـاج سلامة ، زارنى بنفسه ··

شاع السرور فى تجاعيد الحاج سلامة فضغط بكفه على عمامته الكبيرة واستطرد الأزرق :

– هات معك كل من تحب ·· لن أعزم اى أحد الا اذا وافقت عليه ، ما رأيك فى السيد موسى ؟

– رجل مستحب عشرته ··

– والسيد عوض الله ، والسيد حامد الطويل ، والسيد عثمان الغالى ؟

– موافق ··

– احفادك الثلاثة ، أحمد بك ، وصادق بك ، والشيخ منصور، فى أول المعزومين ··

– تشكر ·· وأضف الى هؤلاء السيد بركات الناظر ·

تحرك حاجبا السيد حمدى الأزرق حتى التصقا ببعضهما وهو يقول :

– لا داعى له يا حاج سلامة ·· أنت تعرف اننى لا أطيقه ، وقد يفسد علينا الليلة ، ما نوع الطعام الذى تحبه ؟

– ابعد عن الأشياء الدسمة ··

– ما رأيك فى لحم الضأن ؟!

ـ سيد الطعام !

ـ والدجاج المحمر ؟!

ـ يأتى بعده فى المرتبة ، باستثناء الأرانب !

ـ ستكون الأرانب موجودة ، وبالملوخية !

ـ ولماذا الملوخية ؟

ـ اهل مصر يعتبرونها شرطا مع الأرانب ٠٠

ـ أفضلها بدون ملوخية !

ـ موافق وما قولك فى الحمام المحشو بالأرز ؟!

ـ افعل ما يحلو لك ، لكن لا داعى للأرز !

حين رفعت صوانى الطعام من فوق مائدة السفرة المستديرة ذات الغطاء البللورى والتى لا شـــــبيه لها فى بلدنا ، لـم يكف الموجودين عن التلفت حولهم فى بيت السيد حمدى الأزرق ، يتأملون الستائر البيضاء الشفافة والنوافذ ذات الزجاج الملون والمقـــــاعد الجلدية الوثيرة ، فأحسوا بالضآلة ٠٠

وصاح الأزرق بصوت عال يقلد زعماء الفلاحين :

ـ مرحبا بزعيم البلاد الحاج سلامة ، ومرحبا بالسيد موسى والسيد عوض الله والسيد حامد الطويل والسيد عثمان الغالى ، اهلا بالشيخ منصور وأحمد بك وصادق بك ، شرفتمونا يا أعيـــــان البلد ٠٠

تمتموا بكلمات : شرف الله مقدارك ، بارك الله فيك ، فاستطرد فى حماس ٠

ـ رأيي ان تشكلوا وفدا يذهب الى مقابلة حضرة جناب سعادة المحافظ ويشرح له أهمية أن تكون المدرسة الاعدادية فى النجع الأوسط ٠٠

ـ وتذهب أنت مع الوفد ٠٠

ـ أعفنى يا حاج سلامة ٠٠ أنا موظف سابق ويستحسن أن يكون الوفد من الأهالى لأن حكومة الثورة تشجع ذلك ٠٠ ومن ناحيتى سوف اعمل معكم دون أن أظهر ٠٠ سأتصل بأصدقائى من كبار الموظفين يسهلون للوفد كل العقبات ٠

التفت الحاج سلامة ناحية السيد موسى هازا رأسه كمن يستشيره فقال :

ـ أنا مستعد أذهب مع الوفد ، لكننى لا أجيد الكلام مع الموظفين ٠٠

رفع السيد عوض الله يده من فوق شاربه القصير وقال :

ـ وانا مستعد ، بشرط أن يتولى غيرى شرح الموضوع ٠

وابدى صاحب الطاحونة السيد حامد الطويل وصاحب أسطول الصيد السيد عثمان الغالى استعدادهما للذهاب اذا وجدا فى الوفد من يفهم لغة الموظفين ٠٠

قال السيد موسى بصوته الوديع ، وبشىء من التردد :

ـ لماذا لا يذهب صادق وأحمد وابنى عبد الله وابن السيد عوض الله (على) مع الوفد ؟ ٠٠ انهم متعلمون ويستطيعون شرح الموضوع ٠٠

زمجر السيد عوض الله ، وقال ملوحا بيده :

ـ هؤلاء ، عيال ٠

تبادل صادق وأحمد نظرة سريعة ، وقال الحاج سلامة وهو يتنهد :

ـ لا مفر من بركات الناظر ٠٠

اختنق صوت حمدى الأزرق وهو يتساءل :

ـ ألا يوجد غير هذا الرجل الكريه يا حاج ؟

ـ هو الوحيد الجرىء فى مثل هذه المسائل ٠

بعد فترة صمت ثقيلة ، غير السيد حمدى الأزرق من نبرة صوته ، فشاع فيها الفرح :

ـ بارك الله فيك يا حاج سلامة ، وانتم يا اخوان ، والآن اقترح ترشيح أحدكم للعمودية ، ولو كانت سن الحاج سلامة تسمح لرشحناه ـ لذلك أزكى السيد موسى ٠

ـ أنا ؟ ٠٠ لماذا أحمل نفسى بذنوب فى ثقل الجبال ؟

ـ اذن . عليك أن ترشح نفسك يا سيد عوض الله ٠

ـ ولا أنا يا حمدى بك ٠

ـ نرشحك انت يا سيد حامد ، أو انت يا سيد عثمان ٠

هز حامد الطويل رأسه رافضا ، وعقد عثمان الغالى ما بين حاجبيه وقال : ابعدونى عن هذا الطريق ٠

صمتوا عند دخول ابن السيد حمدى الأزرق ، الذى هجر الدراسة ويتاجر الآن فى المواشى ،يحمل صينية فضية ذات زخارف هندسية عليها طاقم الشاى الصينى الأبيض ، فقال الحاج سلامة وقد شاعت النشوة فى تجاعيد وجهه الدقيقة لهذا التبجيل من جانب السيد حمدى الأزرق :

ـ توكل على الله يا حمدى بك ورشح نفسك ٠

خاطب حمدى الأزرق ابنه بلهجة حماسية :

ـ صب الشـــاى وأعط الأكابر الذين شرفونا بزيـارتهم وجعلوا لنا قيمة فى البلد ٠

ثم التفت الى الحاج سلامة وقال باسما :

ـ ما دمت اعطيتنى الاذن يازعيمنا ، فاننى أقبل لأننى أضمن النصر بوقوفك معى ٠

فى منتصف الليل ، تقاربت عمائم الحاج سـلامة والسيد عوض الله والسيد موسى وهم يتهامسون فى حيرة ، بعد أن أغلقوا عليهم باب الديوان ، قالوا انهم تسرعوا فى ترشيح حمدى الأزرق حيث أن سمعته ليست فوق مستوى الشبهات ، كذلك من المحتمل أن تهدأ نفس العمدة هارون ويأتى لمصالحتهم كالعـــادة وتعود الصداقة الى مجراها ٠٠ وبعد أن تعبوا من الأخذ والرد ، ارسلوا فى طلب السيد بركات الناظر ، فجاءهم يغالب النوم ، أفضوا اليه بالمشكلة الجديدة ، فدهش لهذا الاتفاق الذى لم يعرف به ، ثم قال ان الأمر فى غاية البساطة ٠٠ سوف يذهب من ساعته ويوقظ حمدى الأزرق من نومه ليبلغه بأنه آخر من يصلح ليكون عمدة البلد ٠٠ لكن السيد موسى اعترض على هذا الأسلوب القاسى ، وأيده السيد عوض الله ، وأخيرا قال الحاج سلامة انه سوف يبلغه بنفســـه وبطريقة مهذبة فوافقوه ٠

جاء السيد حمدى الأزرق لزيارة الحاج سلامة ، فقال له وهم يشربون الشاى ، انهم قرروا التمهل فى مسألة الترشيح ، لأنهم سوف يركزون جهودهم فى مشكلة المدرسة الآن ، وانهـــم حينما يختارون واحدا ، فلن يجدوا أفضل منه ٠٠

وافق السيد حمدى الأزرق على الفور ٠٠ لكنه قال ضاحكـا ان خبر ترشيحه ملأ البلد ، وانه فى حرج شديد الآن ، لكن مادام

زعيمنا الحاج سلامة رأى هذا فاننى أنزل على رأيه بصفتى من رعاياه ، فسر الحاج سلامة كثيرا لهذه الدماثة التى يتحلى بها السيد حمدى الأزرق ٠

★★★

فى البيت الذى يستأجره فتحى قطب ٠٠ المدرس بمدرسة النجوع الشرقية الابتدائية ــ وهو من احدى قرى محافظة طنطا ــ جلس حفيدا الحاج سلامة ، أحمد وصادق ، مع ابن السيد عوض الله وابن السيد موسى واثنين من المدرسين هما (عمر) ــ وهو من احدى قرى محافظة الدقهلية ــ ويوسف ، وهو من محافظة سوهاج ٠

كانوا فى أعمار متقاربة ، يرتدون جلاليب أنيقة مكوية ، ويرجلون شعورهم بعناية ، كلهم فى المرحلة الثانوية باستثناء المدرسين ٠٠

هجروا أسرة الحبال وتحلقوا حول جهاز الراديو الذى يعمل بالبطارية ، على حصر السعف الملونة المفروشة فى أرضية الحجرة المتربة المستطيلة ٠٠

الليلة هى حفلة أم كلثوم الشهرية التى يستعدون لها قبلها بأسبوع ٠٠ كل منهم يدفع مبلغا من المال ، يشترون اللحوم والخضروات وكميات من السكر والشاى والسجائر والمعسل ، ويطبخون فى بيت فتحى قطب الذى اختاروه لأنه يبعد عن بقية البيوت ، ويقع وسط حوش كثيف للنخل ٠ ٠

أمام فتحى قطب صينية يفرغ فيها دخان السجائر ويخلطها بمادة داكنة بينما (عمر) يوزع عليهم أكواب الشاى ٠

قال ابن السيد عوض الله ان نظام العمد لا معنى له ، وكان يجب أن تحل نقطة فى كل قرية بدلا منه ٠

عارضه صادق بأن العمدة أفضل من النقطة لأنه يعرف أهـل القرية فردا فردا – ماضيهم وحاضرهم ونوعية سلوكهم فى القرية – بعكس نقطة اشرطة التى لا ترى الناس أمامها الا مجـــرد أشباح فلا تعرف الصالح من الطالح ، ومن هنا تكون بطيئة فى وصولها الى الحق ، هذا وصلت اليه ٠

انضم فتحى قطب وعمر وابن السيد موسى الى صادق ، فى حين لم يوافق ابن عوض الله على رأيه الا يوسف السوهاجى ٠٠ أما أحمد ، فانه وقف على الحياد لأنه يضيق بأى مناقشة ما لم تتعلق بالبنات أو كرة القدم ٠٠

قال ابن السيد عوض الله ، ان أسرة العمدة هارون ، أسرة غير صالحة لقيادة البلد لأن جدها الأكبر كان يذل الناس بما خولته له الدولة من نفوذ ٠٠

توقف فتحى قطب عن حشو السجائر وأجابه بأن هذا الاذلال كان سمة عامة فى كل قرى مصر – قبل الثورة – وان عمدة بلدهم الأسبق كان يستولى على أرض الفلاحين قسرا ٠٠ ثم أضاف بعد فترة صمت ، ان الظلم سوف يختفى تماما ما دام انتخاب العمـدة سيكون انتخابا مباشرا يشترك فيه جميع سكان القرية ٠

مد صادق يده وخفض من صوت الراديو وقال انه يؤيد فكرة الابقاء على نظام العمد ، لكنه لا يرى أى تغيير فى حكاية الانتخاب المباشر ٠

رفع فتحى قطب حاجبيه دهشة وهو يحدق فى صادق حيث كانت أفكارهما متقاربة ، فقال صادق موضحا ، لكى يحدث تغيير حقيقى يجب أن يكون لمن يتولى منصب العمدة راتبا يتيح له التفرغ تماما لهذا المنصب الذى يحتاج الى نفقات كثيرة ٠٠ فالعمدة يستقبل موظفى الحكومة ويطعمهم ويقيمون فى بيته – أو ديـــوانه – باليوم

واليومين والثلاثة ، كذلك هو مطالب بالسفر الى عاصمة المحافظة أكثر من مرة فى الشهر ، ويقيم هناك فترة قد تمتد الى أسبوع ، وربما صحبه شخص أو شخصان هو مطالب بالانفاق على نفسه وعليهما . أضف الى هذا أنه طوال يومه مشغول بحل المنازعات التى تحدث بين أبناء القرية ، كذلك هو مطالب بمصاحبة رجال الشرطة فى حالة حلولهم بالبلد عقب حادثة ، ينفق عليهم طوال اقامتهم ويهيىء لهم سبل الراحة من مبيت وغير ذلك ٠٠ من هنا لن يستطيع ترشيح نفسه لهذا المنصب الا القادر ماليا ٠

وضع عمر - الدقهلاوى - صينية الشاى بعد أن وزع أكوابها وقال هذا حق ٠

استطرد صادق وقد جرت الدماء فى وجهه دائم الشحوب :

هذا الانتخاب المباشر شىء عظيم ، لكن كل ما سيضيفه هو لأن يجعل منصب العمدة يدور فى ثلاث أو أربع عائلات غنية فى كل قرية ، بدلا من احتكار عائلة واحدة له ، وكأننا يا بدر لا رحنا ولا جئنا ٠

أن

ابتسم وجه فتحى قطب الذى بدا شديد البياض بالقياس الى سمرة أعالى الصعيد وقال باعجاب : فعلا يا نمس ! ٠٠ الناس سوف تنتخب القادر لا الصالح ، وبذلك تكون حكومتنا الاشتراكية تشجع اغنياء القرى على ترشيح أنفسهم لمنصب العمدة ، وتحرم الكفاءات غير القادرة ماليا ٠٠

لوح ابن السيد عوض الله بيده وقال بصوته الغليظ الذى ورثه عن أبيه مع ملامح وجهه الخشنة ، ما تفعله الحكومة هو الحق ٠٠ فمن غير المعقول أن يحكمنا أحد الشحاذين الذين تقل أملاكهم عن عشرة أفدنة ٠٠

علق ابن السيد موسى بحماس ، أنا أوافق على هذا الرأى .

تجاهل فتحى قطب هذين الأخيرين ووجه كلامه الى صادق قائلا : وهكذا سيظل العمدة ، عمدة كما كان ، يمثل الحكومة أمام الفلاحين ولا يمثل الفلاحين أمام الحكومة — كما يجب أن يكون ..

تناول عمر سيجارة محشوة وأشعلها لنفسه وهو يقول ، عمدة بلدنا يعتقد ان مهمة سكان القرية هى خدمته شخصيا ..

أطلق صادق ضحكة أقرب الى البكاء وقال ساخرا : قرأت لواحد من المفكرين المصريين ان هناك شعوبا اختارت لنفسها حكومات لكى تخدمها ، وهناك حكومات — محظوظة — لديها شعوب لا عمل لها الا خدمتها ..

ترك فتحى قطب ما فى يده وجمد للحظة يتأمل ما قاله صاق ، قبل أن يتساءل : ومصرنا العزيزة ، من أى فريق ياترى ؟!

قال عمر المشكلة الحقيقية فى رأيى تكمن فى غياب المتعلمين ..
صحح فتحى قطب قائلا : قصدك المثقفين ، استدرك عمر : نعم ..
تنهد فتحى قطب وهو يقول لو أن المثقفين هم الذين يديرون دفة البلاد ، لما حدث ما يعوق تقدمنا .. قال ابن السيد موسى ان جميع المتعلمين فى بلدنا ليست لهم أية قيمة .. هم يعاملون باحترام من أهل البلد حقا ، لكن لا يستطيعون فعل أى شىء يكون من شأنه التأثير على سير الأمور ..

قال فتحى قطب بلهجة المحتج ، نحن نتكلم عن قضية أوسع من قضية قرية مثل « الدراويش » يا سيد عبد الله يا ابن السيد موسى .. فلو تأملت مصر والوطن العربى الكبير بل وما يسمى بالعالم الثالث كله ، لاكتشفت ان المثقف لا دور له على الاطلاق .

لوح أحمد بيده متأففا وقال كفوا عن هذا الكلام المضجر كيلا تفسدوا علينا الليلة ، ثم رفع صوت الراديو الى أقصى درجة ..

وكانت أم كلثوم تقول في هـذه اللحظـة : « أروح لمـين ؟ » فأخذوا يرددون معها الجملة بلذة غريبة ٠

* * *

لم يتخلف السيد حمدى الأزرق ليلة واحدة عن قضاء سهرته فى ديوان الحاج سلامة ٠٠ وخلال اسبوعين اثنين قامت صداقـة قوية بينه وبين الحاج سلامة والسيد موسى والسيد عوض الله ، وقال السيد موسى انه لم يكن يظن ان السيد حمدى الأزرق بكل هذه الدماثة ، فهو جم التواضع ، حلو اللســـان ، يحب الناس ، يكرم الضيف ، يعطى للاعيـان حقهم من التوقير ، يخرج الزكاة فى مواعيدها ، وان فكرته السابقة عنه ، لم تكن الا من شائعات الحساد، فوافقه السيد عوض الله على هذا ، وقال الحاج سلامة : ونعم الرجل هو ٠٠

وفى عاصمة المحافظة ، ركب السيد عبده البطش سيارته واتجه الى نادى المحافظة ٠٠

جلس الى مائدة السيد مدير الاسكان ، وأخرج له خريطـة رسمها بنفسه لقرية « الدراويش » ٠٠ قال له هذه هى النجوع الغربية التى تزيد فى مساحتها ـ وكثافتها السكانية ـ عن أربعة أخماس البلد ! ٠٠ وهذه هى النجوع الشرقية التى لا تمثل ما يزيد عن الخمس ! ٠٠ ثم وضع سبابته على بقعة سوداء على الخريطـة وقال ، هنا ، المنتصف تماما ، يقع مبنى البريد القديم الذى كلفتنى سيادتكم بتجديده ٠٠ وفى لصقه تماما ، تقع قطعة الأرض الفضاء التى تبرعت بها البلد لاقامة المدرسة الاعدادية ٠٠

أضاف السيد عبده البطش ، كبير مقاولى المحافظة ، وهـــو يعدل من وضع رباط عنقه الأحمر الفاقع ، لو أن المدرسة أقيمت فى

موقع يبعد عن موقع مبنى البريد ، فسوف تكلف المحافظة مبـالغ طائلة ٠٠

وكان السيد مدير الاسكان يعلم بأن السيد عبده البطش ٠ يعرف الكثير عن هذه القرية ـ المجهـوله لسيادته تماما ـ حيث تربطه علاقة مصاهرة بعمدتها هارون ٠٠ لكنه سمع بأن ثمة ضجة حول المكان الذى يجب أن تقام فيه المدرسة ، لا يعرف تفصيلاتها بالضبط ٠٠ ولما كان يعانى من ارتفاع ضغط الدم بسبب تكرار سقوط ابنه (رأفت) الذى يقيم مع الأسرة فى القـاهرة ـ فى الثانوية العامة ، فقد وقع على كل الأوراق المطلوبة بلا مناقشة ٠

وحينما وصل السيد بركات الناظر الى عاصمة المحافظة ـ بعد أن قضى فترة طويلة فى اقناع الحاج سلامة وأصدقائه بتأليف الوفد ـ كان كل شىء قد انتهى ٠٠

وفى اليوم الذى بدأ فيه حفر أساسات المدرسة ، انطلقت الزغاريد فى ساحة العمدة هارون ، ذبحت الخراف للمهندس والمقاول ورجالهما ، وزلزلت الأعيرة النارية النجوع الغربية ٠٠

حين وصلت الأخبار الى النجوع الشرقية ، هجر الناس حقولهم، زحفوا نحو بيت الحاج سلامة ، وجدوه مكفهر الوجـه ، صامتا ، لوحت الأيدى فى الهواء ، تعالت الصيحات تطالب بترشيح عمدة ، انتفض الحاج سلامة وهو يقف ، فسارع حفيده صادق بالوقوف الى جانبه ليسنده اذا ما استدعى الأمر ذلك ، تعلقت الأنظار بالحاج سلامة وهو يعلن بصوت يرتعش من الغضب ، ترشيح السيد حمدى الأزرق ، وضج الفضاء بالأعيرة النارية ، ترد على نيران النجـوع الغربية ٠

- ٥ -

انزل العمدة هارون قدميه من فوق الدكة الى الأرض وتساءل في لهفة : ماذا قلت ؟

أعاد عليه أقدم مشايخ البلد السيد سرحان الرشيدى شايل التراب نبأ ترشيح حمدى الأزرق ، وأضاف بأنه مستيقظ تماما لكل ما يحدث فى البلد بحيث أن نملة اذا دبت على الحجر الأصم فى آخر البلد ، فسوف يسمع دبيبها وهو نائم !

نهض العمدة ، خب فى ثوبه الكحلى الفضفاض ، اتجه الى بيته ، اصطدم بدكة كانت بعيدة عن ضوء الفانوس الكبير ، صرخ : « من الذى جاء بهذه الدكة هنا ، الله يحرقكم جميعا ؟ » قبل أن يصل الى باب البيت ، عاد من جديد وصاح فى أحد الخفراء : اسرج لى الحمار الأسود ، وقل لشيخ الخفراء يأتى حالا ..

وفيما بين المغرب والعشاء ، شق موكب مهيب ، الطريق الرئيسية التى تصل النجوع الشرقية بالغربية ، يتقدمه العمدة هارون ، وراءه أقدم مشايخ البلد ، السيد شايل التراب ، وأربعة من أعيان النجوع الغربية ، وفى الخلفية شيخ الخفراء مشرعا بندقيته .

نهقت الركائب أمام ديوان الحاج سلامة فيما يشبه المظاهرة ، وبعث الحاج بحفيديه أحمد وصادق لكى يطرقا الأبواب ويطلبا أهل الرأى لحضور هذا الاجتماع الحاسم ..

وجاء صاحب الطاحونة وصاحب قوارب الصيد وصاحب أبراج الحمام والكثيرون من أصحاب النصاب فضلا عن السيد موسى والسيد عوض الله وقد كانا بجوار الحاج لحظة وصول العمدة وصحبه ٠٠

بدأت الجلسة هـــادئة بين الفريقين ٠٠ تبادلوا كلمات المودة والشوق ، وكان أكثر الجميع سعادة بوجود العمدة ، السيد طـه الرمادى صـــاحب أحواش النخل ، وبدا على الجميع انهم ســوف ينتهون الى المصالحة الى أن دخل السيد بركات الناظر ٠٠ فقد توتر العمدة هارون بمجرد أن وقع بصره عليه ٠٠ فالعمدة لا ينسى له مواقفه الكثيرة ضده ، بالذات معركة أرض طرح النهر التى حرمه فيها من أكثر من خمسين فدانا كان يزرعها هو واخوته — منذ أيام أبيه العمدة السابق — كما حرم الكثيرين من أصحاب النصاب منها . عندما أرعب — بركات الناظر — المسئولين فى عاصمة المحافظـــة ببرقياته المتلاحقة الى مجلس قيادة الثورة ، فتوزعت هذه الأرض على من لا يملكون أرضا فى البلد ٠

دهش الحاج سلامة لدخول بركات الناظر — حيث انه لم يبعث فى طلبه لاستقبال العمدة ، وشك فى أن حفيده « الحمار » المسمى بصادق هو الذى أوعز اليه بالحضور ٠٠

توتر العمدة هارون ورفع كفه بكمها العريض فى مواجهة صادق الذى دخل فى هذه اللحظة يحمل صينية كبيرة عليها أكواب صغيرة ، ووراءه شقيقه أحمد يحمل برادا ضخما للشاى ٠٠ قال العمدة انه يرفض تناول أى شىء قبل أن يتفقوا أو يختلفوا ٠٠

مرت فترة صمت لم يسمع فيها غير صوت نباح الكلاب فى الخارج ، وقال العمدة انه حزين لأن مسألة المدرســـة الاعدادية خرجت من يده ، قبل أن يكمل قاطعه السيد بركات الناظر بأن مسألة ترشيح حمدى الأزرق خرجت من أيديهم أيضا ، تجهم وجه

العمدة وقال له منفعلا ، أنا لا أكلمك انت ، رد الناظر ، وأنا لا أكلمك أنت ! ، فالتفت العمدة الى الحاج سلامة وقال له وهـو يرتعش من الغضـب ، لماذا لا تتكلم ؟ ·· هل تركتم لغراب البين هذا قيادة النجوع الشرقية ؟ ·· وخرج صوت الحاج سلامة تخالطه حشرجة وهو يقول انه يأسف لهذه النتيجة غير المتوقعة ولا يجد ما يقوله الآن ، ونهض العمدة هارون بسرعة ، وخب فى ثوبـه الفضفاض ، وفى الخارج صاح طالبا أن يفكوا ركوبته ··

فى تلك الليلة ، قال السيد موسى لزوجته وهو يتأسف ، انه لم ير الحاج سلامة حزينا فى حياته مثلما رآه لحظة خروج العمدة هارون من ديوانه ، أحس بأن صداقة عمر بين الرجلين ، دفنت فى تلك اللحظة ··

★★★

التقت جماعة من شـباب النجوع الشرقية بجماعة من شباب النجوع الغربية فى احد الأفراح ، اشتبكوا فى مناقشة حادة انقلبت الى معركة ، كادت تتسع لولا أن سيطر عليها العقلاء ·· وطلـق السيد عبد الرحيم الزناتى زوجته وأعادها الى أهلها بالنجوع الغربية لأنها قالت له ان أمل النجوع الشرقية فى منصب العمودية مثل أمل ابليس فى الجنة ·· والقى السيد بركـات الناظر خطبة فى المسجد ، بعد صلاة الجمعة ، أثار فيها الناس على مسألة تأخير عودة نعمة وعم جبريل ، وقال ـ لأول مرة أمام الجماهير العريضة ـ ان العمدة لم يكن يريد عم جبريل ، بل من أجل عيون نعمة·· وهجر « ياقوت » أرض الحاج سلامة وعاد الى أرض العمدة هارون ·· وجاء كبير أثرياء النجوع الغربية ، السيد كامل الأشرم ، راكبا حماره القوى ، ومعه أكثر من عشرة رجال يحملون البنادق والنبابيت ، شق بهم حقول نصف البلد الشرقي بالطول والعـرض ، ثم عاد

أدراجه ومعه حوالى عشرين بقرة كان يشاركها لصغار المزارعين فى النصف الشرقى ، وحذا حذوه أكثر من عشرة آخرين ، أحدهم عاد ومعه ثلاث نعجات !

كل هذا حدث ، وغـــيره كثير ، عقب ترشيح السيد حمدى الأزرق لمنصب العمودية ، فقد أعلنت الحرب ســـافرة بين نصفى بلدنا فى كل المجالات ، واشترى السيد حمدى الأزرق سبع بقرات وشاركها لبعض من ضاعت أبقارهم ، وأسهم الحاج سلامة بأربـــع بقرات ، كذلك شارك السيد موسى بخمس ، أما الاسهام الحقيقى فقد كان للسيد عوض الله الذى اشترى أكثر من عشرين عجلا وقال ان هذه المشكلة جاءت لمصلحته ، لأنه يهمه أن يستثمر جزءا من أمواله فى هذا الجانب ، لكنه رفض أن يشترى بقرة واحدة لأى أحد حيث أن ربح البقر لا يعود أكثره الى صاحب رأس المال ، بل يعود أكثره الى الفلاح حيث يشرب لبنها هو وأطفاله ، كذلك هو يحرث بها أرضه بعكس العجول التى تكلف الفلاح الكثير من الجهد والعلف ثم تسمن سريعا ويكون عائدها مجزيا ..

ووجد العمدة هارون نفسه محاصرا من أقاربه وأهل الرأى فى منطقته ، ألحوا عليه أن يعيد عم جبريل وابنته لكى يقطع ألسنـــة الشائعات التى سوف تؤثر على نتيجة الانتخابات ، وذكروه بالكلام الفارغ الذى أطلقه فى البلد بركات الناظر فى الخطبة التى ألقاها بعد صلاة الجمعة الماضية ، فوافق العمدة هارون وهو ينفخ على اعادتهما ، لكنه اتصل ببعض أهالى بلدنا الذين يعملون بالقاهرة ، طلب لنهم أن يبحثوا عن عمل لعم جبريل هناك لكى يحرم منه الحاج سلامة ، كذلك لكى تسافر نعمة الجميلة مع أبيها ويظل الأمل فى لقائها قائما ، ربما فى احدى زياراته للعاصمة .

فى اليوم الذى عادت فيه نعمة ، استقبلها غانم وأصحابه من « المقاولين » بالزمر والطبل عند الحدود التى تفصل نصفى البلد ،

شق موكبها النجوع الشرقية وسط أمواج من الزغاريد والرقـــص والغناء ، كان غانم يرقص بشمروخه أمام الموكب ، وقادت (ست الحسن) ابنة السيد موسى حاملات الدفوف من بنات نجعهــا ، وأطلق ابن السيد عوض الله أكثر من ثلاثين عيارا ناريـا وحده ، ورقص ابن السيد حمدى الأزرق بفرس أبيه البيضاء أمام الزمر ، ورأى الناس أسنان نعمة البديعة وهى تضحك من قلبها لهـــذا الاحتفاء الذى لم تحلم به ، تفاءل أهالى النجوع الشرقية وعدوا ذلك من علامات النصر فى المعركة الانتخابية القادمة ، لكن عم جبريل . أفسد بهجة الحاج سلامة حين أفضى اليه بأن رسالة وصلته من أحد أقاربه بالقاهرة يخطره فيها بأنه وجد له عملا ، وعليه أن يحضر خلال ثلاثة أيام والا ضاعت الفرصة ..

حاول الحاج سلامة أن يثنى عم جبريل عن عزمه ، وانت لم تغادر القرية فى حياتك ، فكيف تخرج منها وانت فى هذه السن ، ثم ما العمل الذى ينتظرك هناك غير بواب أو خفير ؟ ، لكن عم جبريل ركب رأسه وقال انه كبر فى السن وأصبح عمل الحقل شاقا عليه الآن ، وبيد أن يستريح فى عمل بسيـــط حيث ان الأعمال فى القاهرة - كما سمع - مريحة للغاية ، وطلب من الحاج أن تبقى نعمة أمانة فى بيته الى أن يستقر هناك ويرســـل فى طلبها .. وحاول غانم أن يقنع عم جبريل بالعدول عن رأيه ، كما حـــاول الكثيرون ، لكنه لم يقبل كلاما من أحد .. واعترض غانم أن تكون نعمة أمانة فى بيت الحاج سلامة لوجود أحفاده الثلاثة - الوحوش كما أسماهم - فى البيت ، لكن عم جبريل أقنعه ان بيت الحـاج سلامة أكثر أمانا من أى بيت آخر بسبب وجـــود زوجة الحاج ، ووجود زوجة المرحوم ابنه ، فضلا عن ان الحاج نفســـه قد ودع

ويريد

الدنيا ، يضاح كثرة الداخلين والخارجين حيث ان بيت الحـــاج سلامة ـ كما يقول شيخ الكتاب ـ مثل سوق الخميس ٠٠

جهزت نعمة لأبيها مقطفا مملوءا بالخبز اليابس ، وبضع بيضات مسلوقة للعشاء فى القطار ، ولملم ملابسه البسيطة فى مقطف آخر ، وذهب معه الى محطة القطار كل من غانم وصادق ٠٠

انتقلت نعمة الى بيت الحاج سلامة ، وفرحت بها زوجته ـ وهى الزوجة الثالثـــة للحاج بعد وفاة زوجتيه السابقتين ـ كما فرحت بها زوجة المرحوم ابنه ، أم أحفاده الثلاثة ، بسبب نشاطها العظيم . حيث تولت العجن والخبز وتجهيز الطبيخ وغسل الثياب والأطباق وكنس البيت واطعام الدجاج والحمام والأرانب وجلب الماء من النيل ، فضلا عن الذهاب الى الحقل ظهر كل يوم بطعام الغداء الى حفيد الحاج سلامة الأكبر (منصور) الذى هجر الدراســـة منذ الصغر ويعمل فى الأرض ٠٠

كانت نعمة حزينة لفراق أبيها ولفقدانها استقلالها ، ولأنها لم تعد ترى (غانم) ، كذلك كانت ترتعب أمام نظرات أحمد ، حفيد الحاج ، بجرمه الضخم يتماوج داخل جلبابه الفضفاض ، يتفرس فيها بطريقة من يتهيأ للانقضاض عليها ٠٠

قبل أن تكمل أسبوعا فى بيت الحاج ، انتهز فرصـــة عـــدم وجود أحد بالبيت ، غير زوجة الحاج التى كانت نائمة ، واحتضنها بقوة ، فلطمته ، وتخلصت منه وهرولت فى اتجاه حجرة زوجـــة الحاج ٠٠

استيقظت المرأة على الضجة ، ولما عرفت بما حدث ، أخبرت الحاج عندما عاد . وقضى أحمد أكثر من أسبوع يبيت فى الحقـــل ويتجنب لقاء جده ، الى أن أصلح بينهما السيد موسى ٠٠

وضاعت السهرات الليلية فى بيت عم جبريل من غانم ، وخشى أن يذهب لزيارتها فيغضب الحاج وأحفاده ، وكعادته عندما يستغرق فى التفكير ، جلس أمام بيته ، ساندا ظهره الى الجدار ، يرسم خطوطا فى التراب ويمحوها ، وحوله كلابه الثلاثة توتر آذانها تتعجب من صمته المفاجىء ٠

وشكا منصور لأصدقاء جده من المشقة التى يلاقيها فى الحقل بعد غياب عم جبريل . وهدد جده بهجر الحقل والبلد كلها ان لم يكتب له فدانين – على الأقل – زيادة عن نصيبه فى الميراث ، وان لم يحضر له من يساعده فى العمل ٠٠

وقد جرت العادة ، منذ هجر العمال الزراعيين للأرض والتحاقهم بالمصانع والوظائف الحكومية البسيطة ، أن يعتمد من يملكون مساحات كبيرة – نسبيا – من الأرض الزراعية ، على انتظار وصول الموجات الموسمية من طلبة المدارس الثانوية والاعدادية فى المراكز المجاورة ٠٠ يحرثون ويزرعون نظير أجور مرتفعة ولفترة لا تزيد عن أسبوعين أو ثلاثة ، ثم يعودون الى قراهم ٠٠

يذهب طلبة بلدنا الى قرى المركز المجاور ، ويأتى طلبة المراكز المجاورة الى بلدنا ، وجميعهم لا يصرحون بقراهم الحقيقية خوفا من أن يعيرهم الناس بأنهم أجراء ٠٠

بعد انقضاء هذه المواسم ، لا تبقى للمزارعين غير الأعمال الروتينية من فتح المياه فى الزرع ، أو حش البرسيم للمواشى ، لكن (منصور) رأى فى هذا مشقة بعد غياب عم جبريل ، سيما وان شقيقيه صادق وأحمد لا يساعدانه الا مساعدة بسيطة جدا ، وفى الاجازات الدراسية ٠٠

اضطر الحاج سلامة الى تعديل وصيته ، تنازل عن فدانين لمنصور ، لكنه عجز عن ايجاد العامل الذى يقوم مقام عم جبريل ٠

ذات يوم فوجىء الحاج سلامة بالسيد غانم يزوره ويقول له انه قرر أن يتنازل — مؤقتا — عن حريته — كمقاول — ويعمل عنده فى حقله مع حفيده منصور ٠

فرح الحاج سلامة ، ولم تسع الدنيا منصور لهذا الخبر ، رغم علمهما بأنه لم يقبل بهذا الا لكى يرى نعمة — مرة فى اليوم ، حين تذهب بطعام الغداء الى منصور ٠٠

لكن السيد غانم وضع شروطا كثيرة نظير تنازله هذا ٠٠ من شروطه أن يتقاضى ثلاثة أضعاف الأجر الذى يتقاضاه غيره ٠٠ وألا يتناول طعاما من بيت الحاج سلامة — كما يفعل غيره — باستثناء طعام الغداء الذى تحضره نعمة لمنصور ٠٠ على ألا يكون هذا الطعام من الخبز المفتت فى أوراق « اللوبيا » المطبوخة الذى يأكل منه عم جبريل ، بل من نفس الطعام الذى يتعشى منه الحاج سلامة وأحفاده : أجزاء من دجاجة أو قطعة لحم كبيرة أو حمامة على أن يكون معها أرزا ونوعا من الخضر المطبوخ بالصلصة ٠٠ كذلك اشترط أن يأتى الى الحقل فى الوقت الذى يـراه ويمشى فى الوقت الذى يحدده ، وأن يكون الدفع باليوم — وليس بالشهر أو بالزرعة ٠٠ وان يمتنع عن أى عمل لا يعجبه ، مثل رفع الروث من تحت المواشى وغير ذلك من الأعمال التى لا تليق بالمقاولين أمثاله ٠٠

وافقه منصور على كل شروطه ، كما وافقه الحاج سلامة وهو يتمتم فى سره : ربنا افرغ علينا صبرا ٠٠

دهشت نعمة حين عرفت بقبول غانم العمل فى حقل الحـاج سلامة ، لكنها سعدت لأن هذه « التضحية » من أجلها ، ولأن وجوده هناك سوف يحميها من منصور الذى انتهز مرة فرصة دخولها فى حوش النخل البحرى لتجمع ما سقط من التمر ، وفاجأها بأن أمسك

يدها بقبضته الخشنة ، لكنه تركها فـــورا حين صرخت بأعـلى صوتها ، ورجاها ألا تخبر جده ٠٠

ما أن تظهر نعمة فوق الجسر وهى تحمل طبق الصينى الكبير فوق رأسها ، يغطيه طبق الخوص الملون ، حتى تلمح (غانم) يقف على رأس الجسر قبالة حقل الحاج سلامة ، وأسنانـــه العريضـة البارزة ، مثل أسنان الحصان ، تملأ وجهه وهـــو يبتسم لها ٠٠ وحينما تصل نعمة ، يمتنع غانم عن العمل تماما ٠٠ يتناول غداءه هو ومنصور ـ وفى أحيان كثيرة يأكل معهما الحـــاج لجودة الطعام حسب شروط غانم ـ ثم يجلس بجوار نعمة تحت شجرة المانجـو الكبيرة ، يتبادلان الأحاديث ، سائلا اياها عن أحوالها وأخبارها ، وهل هناك مضايقات تتعرض لها من أحد ، ومن هو هذا الأحد حتى يصفى حسابه معه ، يقول هذا كل يوم بصوت عال ، متعمدا ان يسمعه الحاج ومنصور ٠٠ وما ان تحمل نعمة الطبق الفارغ وتعود الى النجع ، حتى يتمطى غانم جيدا ـ كما يقول منصور ـ ثم يتثاءب بصورة مكثفة ، ويرتدى جلبابه فوق الصديرى الذى يلبسه على اللحم ، ويقول للحاج سلامة انه قرر العودة لكى يطعم عجله الأحمر ونعجته وحماره (الأبجر) وكلابه الثلاثة ثم يجتمع بأصحابه من « المقاولين » الذين يسمرون معه ويشربون المعسل ، ولم يكن الحاج سلامة يعترض ، فقط كان يتنهد ويضغط فكيه ثم يتمتم : ربنـا أفرغ علينا صبراً ٠

- ٦ -

بدأت الدعاية الانتخابية ، وكان شعار العمــدة هارون هو الجمل ، وكانت النخلة هى شعار السيد حمــدى الأزرق ، ودارت المساجلات بين النخلة والجمل ٠٠

وقال الفلاسفة من أنصار العمدة أن الجمل مذكور فى القرآن الكريم ، وأن النبى عليه الصلاة والسلام كان يمتطى الجمل فى أسفاره ، وكانت لديه ناقة اسمها « القصواء » ، وهذا فأل حسن يبشر بالنصر ٠٠ فضلا عن أن العمدة هارون ، عمدة ، حفيد عمدة ، ورث هذا « المجد » أبا عن جد ولا ينازعه فيـــه الا مغرور يتطلع الى ما ليس من حقه مثل الصعلوك المسمى بحمدى الأزرق !

رد فلاسفة النجوع الشرقية بأن النخلة مذكورة هى أيضـا فى القرآن الكريم ، وهى التى هزتها مريم عليها السلام فأسقطت عليها رطبا جنيا ، وأن المدينة المنورة التى هاجر اليهـا النبى ، كانت غاصة بالنخل ، وأن الرسول وكبار الصحابة كانوا يقدمون لضيوفهم التمر ، وكل هذا يدل على أن النخلة هى التى ســوف تنتصر باذن الله ٠

أما اذا كان آباء السيد حمدى الأزرق لم يكونوا من العمد ، فان جده الأكبر كان يملك خمسمائة فدان ! ٠٠ فضـــلا عن أنه رجل متعلم وكان موظفا مهما فى الحكومة يضاف الى هذا أنه أصيل

النسب ، ينحدر من نفس الجد « العظيم » الذى تنحدر منه عائلات النجوع الشرقية ، من هنا فهو أهل للمنصب الخطير ..

فى قمة المعمعة الانتخابية ، وصل عم جبريل من القـــاهرة قبل أن يكمل فيها شهرين ..

فوجىء به الناس نظيفا جدا ، يرتدى جلبابا أبيض يشـبه جلاليب الطلبة والمدرسين فى أناقته ، وفى قدميه حذاء جـديد ، وعمامته الصغيرة ناصعة البياض ، وعليه صدرية من قماش حريرى مخطط . ووجهه الهضيم ازداد نحولا وشحوبا ، لكن لحيته محلوقة بطريقة لم يعهدها أحد ، كان يحمل معه المقطفين اللذين ذهب بهما وقد كدس فيهما مجموعة من الأطباق والأكواب فضلا عن كنـكة وصينية صغيرة وابريق للشاى جديد .

عانق نعمة ، وبكت هى طويلا وذراعاها تلتفان حول عنقه ، ولما استأذن الحاج فى أن يعود بابنته الى بيته ، لأنه لن يغادر البلد مرة أخرى ، فرح الحاج ، كما فرح منصور بعـودة الرجل الطيب الذى لا يعارض ولا يتأفف ولا يتردد فى تنفيذ أى أمر يصـــدر اليه ، ولا يشكو من تعب أو أجر أو طعام ولا يزور أحدا ولا أهل له يشغلونه ، كل عالمه هو حقل الحاج سلامة ونخله ومواشيه .. وسعد منصور لأنه سوف يستريح من غرور غانم وتعنته ، كذلك سعد غانم لأنه لن يضطر الى التنازل عن (الشوكة) المشرعة فوق ظهره ما دامت نعمة سوف تكون فى بيتها وتستطيع أن يراهـا كل يوم ..

وعادت الضحكات السعيدة الى الحصـــيرة المتآكلة الحواشى ، يجلس عليها عم جبريل وغانم ونعمة حول براد الشاى ـ الجديد ـ والأكواب المضلعة التى جاء بها عم جبريل من القـاهرة ، تضعها نعمة فوق الصينية ذات الأشكال النباتية العجيبة ، بعد أن تبخرها

بخشب الصندل ، وروى عم جبريل لهما عن مغامراته فى المدينة الصاخبة ، حيث كان يعمل خفيرا يحرس الأخشاب والحديد وأجولة الأسمنت ، يسهر الليل وينام النهار ، لم ير من القــاهرة غير شارع واحد ، لكنه يكفى فى رأيه لتــأهيل الانسان الى دخول مستشفى المجاذيب ، ومن هنا قرر العودة ٠٠

فى الليلة الأولى ، ارتدت نعمة الثوب االأخضر الذى به ورود حمراء كبيرة ، ووضعت على رأسها شال القطيفة البنفســجى ، وضحكت من قلبها ، بصوتها مثــل هديل القمرى ، وهى تسمع (غانم) يتحدث ، بطريقته الحماسية ، عن كلابه الثلاثة ، سيما الكلب الأسود الذى يشبه الذئب والذى يسميه « أبوزيد الهلالى » وعن قصة شرائه للعصا الخيزران التى يســميها « العجيبة » ، وكيف اشتراها من رجل غريب التقى به فى سوق الجمال وعرف أنه من بلاد بعيدة جدا ـ لا يعرف ان كانت تابعة لبر مصر أم لا ـ اسمها مراكش ٠٠

كانت نعمة سعيدة بجمع الشمل ، فهى ـ رغم نظرات الاعجاب التى تقابلها فى كل مكان ـ لا تشــعر بالأمان الا بجوار أبيهــا وبجوار غانم ٠٠

فهى لا تنسى الكلمات المخجلة التى تسمعها من الشبان الذين يقبعون لهــا فى الزرع فى طريق الموردة ٠٠ هى الوحيــدة التى يسمعونها الكلمات المخجلة دون كل البنــات ٠٠ لكن لما عرف الجميع بأن (غانم) سوف يتزوج منها ، كفوا عن البذاءات ، وان كانوا على دأبهم فى القبوع فى الزرع والحملقة فيها أثنــاء مرورها والتنهد بصوت عال ٠



استدعى الحاج سلامة (غانم) وأجلسه بجـواره على الدكة التى يجلس عليها ـ زيادة فى التكريم ـ وبعد أن تضاحكا وشربا الشاى وتحدثا فى الأمور الخطيرة مثل الحالة الصحية لعجل غانم الأحمر ، والحالة المزاجية لحماره « الأبجر » ، وماذا فعلت الدنيـا بكلابه الثلاثة ، سيما « أبوزيد » ، طلب الحاج سلامة من السيد غانم أن يتكرم ويتفضل ويتنازل بمواصلة العمل مع حفيده منصور فى الحقل طوال فترة المعركة الانتخابية حيث أنهم يحتاجون الى عم جبريل فى البيت ليكون فى استقبال الوفود التى تأتى للزيارة والتأييد ٠٠

ارتعشت طاقتا أنف غانم وهو يقول انه يعتبر هذا الطلب اهانة لأن كل البلد تعرف أنه لم يقبل التخلى عن صفة (المقاول) الا من أجل أن يرى نعمة ، وأنه لن يسمح لصهره المقبل بأن يترك عمل الحقل الشريف ليتحول الى خادم يربط الحمير لضيوف الحاج ويقدم لهم القهوة ٠٠ ثم وقف ونفض طرف ثوبه بشدة ، واتجـه الى الباب ٠٠

ماجت تجاعيد وجه الحاج سلامة بالغضب ، وتذكر الشروط القاسية التى وضعها غانم من قبل للعمل مع منصور ، فأقسم أن يكون تأديبه على يده ٠٠ وفى الحال استدعى قريبه البدين الكسول محمود الشحات الذى لا يملك غير ثلاثة قراريط وعنزتين ولا يعمل الا تحت ضغط الجوع وطلب منه أن يتقدم لخطوبة نعمة من أبيها ٠٠ ووعده بأن يساعده بالمال ، لكن محمود الشحات قال وهو يلهث أنه يخشى من غانم ربما يؤذيه ، فنهره الحاج سلامة طالبا منه أن يتصرف كرجل ٠٠

وفى الحقل سار محمود الشحات بجوار عم جبريل الذى كان يحرث قطعة الأرض الملاصقة للجنينـــة ، قال عم جبريل وصوت

المحراث يطقطق وهو يشق الأرض ، أن كل البلد تعرف أن نعمة من نصـــيب غانم باذن الله ، وأنه لا يحب الحديث فى هــذا الموضوع ..

لكن عم جبريل دهش حينما استدعاه الحاج سلامة قبيــل صلاة الظهر وأجلسه بين يديه بحضور جيرانه فى الحقـــل وهم يتناثرون على أسرة الحبال الصغيرة تحت شجرة المانجو الكبيرة .. قال له انه أعطى كلمته لمحمود الشحات على اعتبار أنه والد نعمة أيضا ، ولا يصح أن يتحدث الناس فى المجالس بأن جبريل تسبب فى احراج الحاج سلامة بعد صداقة العمر الطويلة ..

وحوصر عم جبريل من الشيوخ أصدقاء الحاج الذين قالوا انهم لا يحبون التفرقة بين عم جبريل وبين الحاج سلامة فى هذه المسألة مادام كلاهما والدا لنعمة .. وأجمعـوا على أن (غانم) شخصية لا تطاق باستثناء أحدهم أراد أن يدافع عن غانم لكنهم أسكتوه .. ولما لم يجد عم جبريل ما يقوله ، فقد وافق على زواج نعمـــة من محمود الشحات ..

وكاد غانم أن يفقد عقله حينما استدعاه الحاج سلامة وطلب منه فى حسم عدم زيارة نعمة فى بيتهـــا لأن اجراءات خطوبتها سوف تتم قريبا ..

أوقف غانم رحلته اليومية الى البندر ورابط أمام الموردة الى أن جاءت نعمة تحمل جرتها قبيل الغروب .. فزعت البنات حولها حين تقدم منها وسألها ان كانت موافقة على الزواج من محمـــود الشحات ، ولما أجابت ـ بصوت يشبه البكاء بأنها لا تطيق ذكر اسمه ، طلب منها أن تصمم على الرفض لأنه سمع من أصـــدقائه ـ المقاولين ـ فى البنـدر ، أن الحكومـة تقف مع الفتاة التى ترفض

الزواج من الشخص الذى يجبرونها عليـــه ، وأنه سوف يقـوم بمساعيه لفشل هذا الزواج الظالم ..

وفتح السيد بركات الناظر باب بيته حين سمع طرقا متواصلا على الباب .. وجد أمامه (غانم) مكفهر الوجه ، صافحه وأدخله فى بيته المتواضع ، جلسا على سرير حبال قديم ، ولما عرف سبب مجيئه تعاطف معه وقال له أن نعمة من حقك ، وسوف أذهب الى الحاج سلامة فى التو واللحظة ..

وكان السيد حمدى الأزرق يشق النجوع يسلم على الناخبين فردا فردا حين أوقفه غانم وعرض عليه المشكلة ، فقال الأزرق انه سوف يبذل كل جهده اذا وعده بأن يضع أكبر عدد من أصـــدقائه (المقاولين) فى النجوع الشرقية والغربية ليعطوه أصواتهم ..

يقنع

بعد صلاة العشاء ، ترجل السيد حمدى الأزرق عن صـــهوة فرسه البيضاء أمام ديوان الحاج سلامة فى زيارته الليلية له..وتذكر مشكلة غانم ونعمة عندما وجد الموضوع مثارا من قبل السيد بركات الناظر ، فانضم لصالح غانم وساعدهما السيد موسى .. لـــكن السيد عوض الله قال ان من رأيه أن يحرم غانم من نعمة لكى يخفف من وقاحته ، فاعترض بركات الناظر وقال ان (غانم) ليس وقحا .. كل ما هنالك أنه لا يحب أن يعمل عند أحد وهذا من حقه .. ثم انه يتمتع بشهامة نادرة حتى أنه حمى السيد حمدى الأزرق حينما تحرش به بعض السفهاء من النجوع الغربية فى البنـــدر .. وأيد السيد حمدى الأزرق كلام السيد بركات النـــاظر وقال ان بعض السفهاء تجمعوا حوله فعلا وراحوا يسخرون منه بقولهم هـــذا هو الرجل الذى يريد أن يصبح عمدة على آخر الزمان .. فظهر غانم فجأة ، قفز من فوق حماره ، وخلع العصا الغليظة التى تصل ما بين المقطفين ، فتفرقوا ..

وقال السيد موسى ان (غانم) قد يبدو شرسا معنا هنا ، لكنه أبدا لا يتخلى عنا اذا وجدنا نتعرض لمتاعب فى البندر ..

اضطر الحاج سلامة ، ازاء هذه الضغوط ، أن يلغى خطوبة قريبه البدين الكسول محمود الشحات لنعمة ، لكنه اشترط ألا يتزوج غانم من نعمة ـ مؤقتا على سبيل التأديب ـ وأن يمتنع عن زيارة جبريل فى بيته طالما ليست له صفة خطيبها ..

وحاول محمود الشحات أن يحتج عندما استدعاه الحاج وطلب منه صرف النظر عن مسألة الخطوبة .. أدخل أصابعه تحت ابطه ومضى يهرش وهو يقول أنه مصمم على الزواج من نعمة ، ولن يتنازل حتى ولو قطعوا رأسه ، لكنه تراجع حين نهره الحاج وشتم أباه ، ثم هدأ حين رأى الحاج يأمر له بقدح من غلة القمح ، وقدح من التمر السكوتى الجيد ..

وعاد الثلاثة يجلسون على الحصيرة المتآكلة الأطراف ، أثناء زيارات غانم السرية لبيت عم جبريل .. يشربون الشاى الذى تمزجه نعمة بالنعناع ، يملأون البيت المكون من فناء وحجرة واحدة ، بالضحكات الصافية يخالطها دخان المعسل .

فى ظلام الليل ، توقف رجل عملاق ، يركب حمارة رمادية ، ويلتف بثياب سوداء ، أمام ديوان الحاج سلامة ، طلب من صادق ان يدخله هو وحمارته فى داخل البيت قبل أن يكتشف أحد زيارته السرية هذه ، ورغم الظلام ، عرفه صادق من همســه الذى يشبه الفحيح ·· كان أقدم مشايخ البلد السيد سرحان الرشيدى شايل التراب ، وضح وجهه الصخرى على ضوء الفانوس وهو يجلس بجوار الحاج ســـلامة ، فى حجرة نومه ، قال رغم أنه من أسرة العمـــدة هـــارون ، الا أنه يكرهه من صـــميم قلبه ويتمنى اســـقاطه فى الانتخابات بسبب اهاناته له أثناء انفجاراته العصبية ، فضلا عن أن من حقه أن يشغل وظيفة نائب العمدة بصفته أقدم المشايخ ــ بعد وفاة شاغلها ــ لكنه عرف بأن العمدة سوف يرشح شيخا آخر لها ، وقال انه سوف يساعد النجوع الشرقية فى معركتها بشرط أن تضمن له هذه الوظيفة ، فوعده الحاج سلامة خيرا ··

قال السيد شايل التراب ان آخر احصاء للبلد ، أثبت زيادة طفيفة للنجوع الشرقية ، فاذا كانوا يريدون الفوز حقـــا ، فعليهم بكسب أصوات النجع الأوسط ، فهو الذى سوف يحسم المعركة ·· أجاب الحاج سلامة مهموما بأنه لا يأمل فى كسب أكثر من ثلث أصوات النجع الأوسط بسبب التأثير الكبير لزعيمه السيد «يونس»

على الناس فى النجع المذكور ، ثم أن علاقة الحاج بهذا الزعيم ليست قوية ٠

قال السيد سرحان الرشيدى بلهجة من يبشر الحاج ، أن ثمة خلافات حادة الآن بين العمدة هارون وبين الزعيم المذكور ، بعـــد ضرب العمدة لابن الزعيم (عوف) بسبب ايجار الأرض ٠٠ فاذا استطاع الحاج وأصدقاؤه أن يؤجروا له خمسة أفدنة ، مقابل الأفدنة الخمسة التى يستأجرها من العمـــدة ، فسوف يضمنون أصـــوات نجعـــه ٠

★★★

جاء السيد زعيم النجع الأوسط لزيارة الحاج سلامة مع السيد حامد الطويل ــ صاحب الطاحونة ــ الذى ذهب لاستدعائه سرا ٠٠ كان يمتطى حمارة بائسة تشبه ــ كما قال شيخ الكتاب ــ حمير الغجر الذين يتسولون بالربابة ، عليه رداء أسود فضفاض ، حائل اللون ، متآكل أطراف الأكمام ، وجهه الأصـــفر النحيل به آثار جدرى ، وعيناه الضيقتان لا تكفان عن السيلان ٠٠

اقترح عليه السيد موسى أن يدخل تحت الســـقيفة ، داخل بيت الحاج سلامة لكيلا يراه أحد الخصوم فيشى به للعمدة هارون ، فأجاب بصوت عال جدا ــ على طريقة سكان نجعه ــ بأنه رجل له مقامه الكبير ولا سلطان لعمدة أو غيره عليه ، ولذلك فسوف يجلس أمام الديوان على قارعة الطريق دون أن يعمل حسابا لأحد ٠٠

وحدثه الحاج سلامة ، وهو يرحب به ، عن أجداده العظـــام الذين قادوا شجعان القبائل وأقضوا مضاجع نابليـــون فى الزمن القديم ، فأجاب بأن هذا الكلام الفارغ لا يهمه فى شىء ، وأنه يريد أن يدخل فيما هو أهم من ذلك ٠٠

وضحك السيدى حمدى الأزرق فى وجهه وقال له ان العمدة هارون لا يعرف للناس أقدارها ، وأنه حين يفوز باذن الله فسوف يرشحه ليكون شيخا رسميا على نجعه ، فأجاب بأن هـذا الكلام لا معنى له لأنه زعيم سـواء كان شـيخا رسميا أو لم يكن ، لكن ثمة مشـكلة لابد من حلهـا قبـل الحديث عن أصـوات سكان نجعه ، هى أنه يستأجر تسعة أفدنة من العمدة ويخشى أن يستعيدها منه اذا تحيز لهم ٠٠

ترامقوا فى صمت ، فهم يعرفون أنها خمسة أفدنة وليسـت تسعة كما زعم ، لكنهم تغاضوا عن المغالطة ، وقال له الحاج سـلامة بلهجة من يصدقه ، أنهم سوف يعوضونه بخمسة أفدنة ، وعليه أن (يضحى) بالبـاقى ، فأجاب على الفور بأنه لن يرضى بأقل من الأرض التى كان يستأجرها من العمدة ، وهى تسعة أفدنة ـ الفدان ينطح الفدان ـ فوافقه الحاج سلامة وهو يبلع ريقه بصعوبة ، وأبدى الموجودون من أصحاب الأرض استعدادهم لجمعها له فيمـا بينهم ، وطلبوا منه أن يقرأ معهم الفاتحة ـ كما تقضى التقاليد ـ على أن يضمن أصوات جميع سكان نجعه ، فرفض أن يقرأ الفاتحة ما لم يحصل على الأرض أولا ، كذلك أن يعفوه من دفع ايجارها لثلاث سنوات على الأقل ! ٠

ولما دخل حفيدا الحاج ، أحمد وصادق ، يحملان صوانى الطعام ، أكل بيديه الاثنتين وأصابعه وبطريقة من لم يذق الطعام ـ كمـا قال أحمد ـ منذ آخر فيضان ، وملأ ثيابه ببقع الدهن ٠٠

وكان العمدة هارون مشغولا فى استقبال المقاول ورجاله الذين بدأوا فعلا فى اقامة المدرسة الاعدادية ، حين بلغه اتفاق زعيم النجع

الأوسط مع خصـومه ، طلب أن يسرجوا له حمـاره الأبيض لكى يذهب لاسترضائه بنفسه ، لكن أقدم مشايخ البلد السيد سرحان الرشيدى شايل التراب « نصح » العمدة بقوله ان العادة لم تجر على أن ينتقل العمدة بنفسه الى النجح الأوسط الذى تكتنفه الصحراء من كل جانب . فلا زرع ولا ماء ، ثم ان هذا الرجل المتخلف الذى يدعونه زعيمهم ، لا يسيطر الا على سدس الأصوات هناك ، واقترح على العمدة أن يستدعيه للمثول بين يديه ، ويملى عليـه أوامره ، لأن هذه هى الطريقة المثلى التى يجب أن يتعامل بها أمثاله .

يقول السيد عباس العدنانى الذى يبالغ فى أقواله، ان العمدة هارون كان يسد أنفه وهو يفاوض زعيم النجع الأوسط ، بسبب رائحة البصل التى كانت تنبعث من فم الأخير ، وأنه فقد أعصابه حين فوجىء به يطلب منه أن يؤجر له ثلاثة أفدنة زيادة عما وعده بها خصومه ـ قبل أن يقرأ معه الفاتحة ..

نسى العمدة هارون نفسه فى لحظة الغضب ، كعادته ، ووصفه بأنه تربية امرأة ، وقال انه لن يعطيه قيراطا واحدا زيادة ، وهدده بأنه سينتزع منه الأفدنة الخمسة التى عنده ، ثم يبعث به الى جبل الطور مع المجرمين ، لو سمع بأنه يلعب بذيله ..

لم يتفوه زعيم النجع الأوسط بكلمة واحدة حين رأى العمدة هارون ينتفض من الغضب وعلى وشك أن يبطش به .. بلع ريقه عدة مرات ، كانت تفاحة آدم أثناء ذلك تصـــعد وتهبط فى عنقه النحيل الطويل ، ثم ركب حمارته البائسة ورحل الى نجعه ..

طوال الطريق كان يلوح بيديه ، ويوقف كل من يلتقى به ، ويقول له ان العمدة هارون لا يستطيع أن ينتزع منـــه الأفدنة الخمسة لأن القانون الجديد لا يسمح بذلك .. حقا أنه يستأجرها

بدون مستند ، لكن أهل البلد كلهم يشهدون معه ، ثم انه يضع اليد على الأرض ، وفي هذا وحده القول الفصل ٠٠ كان يقول لكل من يلتقى به وكأنه يقول : « أبلغوه لكى يأتى لانتزاعها ! » ٠٠

وفى نفس اليوم الذى تم فيه رفع المحصول ، رأى زعيم النجع الأوسط ، العمدة هارون ومعه الخفراء وحوالى عشرة من أقاربه ، يتقدمهم السيد سرحان الرشيدى شايل التراب ، يحملون البنادق والنبابيت ، معهم المحاريث والأبقار ، يحرثون الأرض ويلقون فيها الحب ٠٠

بعد صلاة الجمعة ، وقف زعيم النجع الأوسط فى المسجد ، وقال لقومه ، وقد تهدج صوته الذى يشبه صوت الطبل :

ـ اشهدوا ٠ هو الذى بدأ الشر ٠٠ وطبعا هو أكثر نفوذا لدى الحكومة ، وقومه أكثر عددا من قومى وأغنى ، فلا أستطيع استعادة الأرض منه بالقوة ٠٠ كما أن الحكومة لن تعطينى حقى لأننى لا أملك مستند ايجار ٠٠ ليس أمامى الآن الا أن أطلبه (حق عرب) لكن أهل البلد انشغلوا فى الانتخابات ولا وقت لديهم لعقد مجالس العرب ، فحسبى الله ونعم الوكيل ، وليتعظ قومى الذين يخالفوننى ويصرون على أن يعطوا أصواتهم للظالمين الذين انتزعوا منى القراريط التى أقتات منها ! ٠

وغضب سكان النجع الأوسط لاهانة زعيمهم ، وجهر الذين كانوا يعارضونه بأنهم سوف ينتخبون السيد حمدى الأزرق وليكن ما يكون ٠



فى ليلة كثيفة الظلام ، جاء السيد سرحان الرشيدى شايل التراب متسللا الى بيت الحاج سلامة وأفضى اليه بأنه يحمل خبرا غاية فى السوء .. فقد حضر اجتماعا سريا بين العمدة هارون وبين عميد أسرة الرمادى الذى وعد العمدة بأصوات كل أفراد أسرته ..

ثم التف شايل التراب فى عباءته السوداء ـ رغم حرارة الجو ـ وجلس بجرمه الهائل فوق حمارته السوداء ، وقال ان عليه أن يذهب الآن قبل أن يراه أحد ، ثم غاص فى طبقات الظلام ..

لم ينم الحاج سلامة فى تلك الليلة .. فعائلة الرمادى من العائلات القوية فى النجوع الشرقية .. وهى ذات تأثير كبير لكثرة أصهارها فى كل النجوع ، ولصلات رجالها الواسعة بكل ذوى الوزن الاقتصادى حيث أنهم يملكون أكبر أحواش نخل فى النجوع الشرقية ، وربما فى البلد كلها ..

أرسل الحاج سلامة فى طلب عميد الأسرة ، السيد طه الرمادى ، وسأله عن سبب تحيزه للعمدة ..

ضحك السيد طه الرمادى حتى ظهرت السنة الذهبية فى فمه ، وقال انه بصراحة غير راض عن ترشيح حمدى الأزرق لأنه لا يثق فيه ..

حاول الحاج أن يثنيه عن عزمه ، فأجاب وهو يلملم قفطانه الشامى حول جسده البدين ، أنه شخصيا قرأ الفاتحة مع العمدة هارون ، ولذا فهو مضطر الى أن يعطيه صوته ، لكنه ـ من أجل خاطر الحاج ـ لن يطلب من بقية أسرته أن تنتخب شخصا معينا من المتنافسين ..

امتطى الحاج سلامة حمارته البيضاء ، بطيئة السير ، وسار بجواره حفيده صادق ، وذهب للقاء أسرة الرمادى .. اجتمع بهم

فى أحد أحواشهم الذى يشبه الغابة لغزارة نخله ، من صلاة الظهر حتى قبيل صلاة المغرب ، دون أن يستطيع اقناعهم بانتخاب السيد حمدى الأزرق ·· وانضم اليه السيد موسى والسيد عوض الله فلم يستطيعا تحريك آل الرمادى خطوة واحدة ·· ثم جاء السيد حمدى الأزرق ومناهم بالكثير من الوعود ، فلم يغير أحد من أسرة الرمادى رأيه ·· قالوا بصريح العبارة أنهم قرروا انتخاب العمدة هارون ، وطلبوا ألا يحرجهم أحد بطلب قراءة الفاتحة ··

أزعج مروق أسرة الرمادى الحاج سلامة وأصـــحابه ، وقالوا لبعضهم لولا أن السيد شايل التراب أخبرهم لما عرفوا بهذا الاتفاق السرى مع العمدة ·· ونشط السيد موسى والســـيد عوض الله وصاحب الطاحونة وصاحب قوارب الصيد وغيرهم ·· قالوا يجب أن نضمن نجوعنا الشرقية أولا قبل أن نتطلع الى أصوات من النجوع الاخرى ·· فطافوا بها يعدون هذا ويمنون ذاك ، وأثنـــاء طوافهم فوجئوا بنجع النصارى ـ وهو من أهم النجوع الشرقية ـ ينقسم على نفسه ·· نصف سكانه تقريبا بزعامة السيد « بشاى » أعلنوا أنهم سوف يعطون أصواتهم لابن نجوعهم الشرقية السيد حمـــدى الأزرق ، ونصفهم بزعامة الســـيد « غبريال » قرروا أن ينتخبوا العمدة هارون ··

واجتمع الحاج ســـلامة والســـيد موسى والسيد عوض الله بالفريق الذى يتزعمه السيد « غبريال » فى ظل أبراج الحمام التى يملكها السيد غبريال بجوار الترعة الكبيرة ، وحاولوا أن يقنعوهم بأن الواجب يقتضى مناصرة ابن المنطقة حمدى الأزرق ، لكن السيد غبريال قال وهو يفتل شاربه الأبيض الخشن أنه يكره حمدى الأزرق هذا لله فى لله ويعتقد بأنه لا يزيد عن لص خطير فى ثياب أنيقة ، وأنه لن يعطيه صوته ولو انطبقت السماء على الأرض ··

وجاء السيد حمدى الأزرق بنفسه وقضى نصف يوم مع السيد غبريال ووعده بأنه سوف يجعله يبيع أفراخ أبراجه وروثها بأثمان مرتفعة جدا حيث يعرف تجارا كبارا يشترون هذه الأشياء بكميات هائلة ، لكن السيد غبريال فك عمامته الكبيرة فظهر شعر رأسه الأكرت ، وأعاد لفها من جديد على مهل وهو يقول ، لا تؤاخذنى ، أنا أعتبر العمدة هارون صديقى ، أما بقية قومى ، فلن أمنعك اذا حاولت اقناعهم ، بانتخابك ٠٠ ولما اجتمع بهم السيد حمـــدى الأزرق ، رفضوا أن يقسموا له وقالوا انهم سوف يعطون أصواتهم للعمدة هارون ٠٠

واغتم الحاج ســـلامة حيث أن أسرة الرمادى وأسرة غبريال خرجتا الآن عن اجماع النجوع الشرقية ، وهما ليســتا من الأسر الهينة ٠

جاءت برقية من الداخلية تقول ان أقدم مشايخ البلد هو الذى يتولى مهام منصب العمودية الى أن تظهر نتيجـــة الانتخـابات ، وأصبح السيد سرحان الرشيدى شـــايل التراب ، عمدة البـــلد مؤقتا ٠

وفى يوم الانتخابات لم يذهب السيد غانم الى سوق البندر .. تفرغ للمرور على التجمعات الجماهيرية أمام اللجنة ، ليذكر أصدقاءه (المقاولين) من أبناء النجوع الشرقية والغربية ، بأنهم قرأوا معه الفاتحة على انتخاب حمدى الأزرق ، فطمأنوه بأنهم عند وعدهم لأنهم لا يتمسكون بالعصبيات القبلية أو الاقليمية حيث أنهم أصـــحاب (مبادىء) ! ٠

لاحظ غانم أن الكثيرين من الناخبين يدخلون اللجنة مرتين .. وحين سأل عرف أنهم ينتحلون شخصيات أبناء بلدنا الذين يقيمون فى القاهرة والاسكندرية والسويس وبورسعيد وغيرها ، بعد أن اتفق المرشحان ـ العمدة والأزرق ـ على ذلك بسبب تقارب عدد المسافرين لدى الفريقين ٠٠

وغادر العمدة هارون المكان قبل أن تنتهى اللجنـــة من فرز بقية الأصوات ، حين رأى حمدى الأزرق تجاوز الأصوات المطلوبة للفوز ٠٠ ضل به حماره الطريق فدخل فى حوش نخل آل سليمان

وكاد يسقط به فى البئر المهجورة لكثافة الظلام تحت النخل ، لولا أن أدركه شاب تصادف مروره ·· وانطلقت شائعة بأنه فقـد بصره فجأة ، لكن ثبت كذبها فيما بعد ··

تعالت الزغاريد أمام بيت الحاج سـلامة ، وتجمهر الناس يهنئون العمدة الجديد حمدى الأزرق ، الذى ألقى فى الجموع خطبـة قال فيها انه عمدة من الناحية الرسمية فقط ، لكن العمدة الفعلى هو الحاج سلامة لأنه لن يبت فى أمر دون استشارته ··

وكان العمدة الأزرق لحظتئذ يعلق على كتفه بندقية صيد ذات ماسورتين ··

بعد أن أنهى الخطبة ، قال له السيد بركات الناظر ـ بلهجة من يكرهه كما يقول ـ انك لن تصبح عمدة من الناحية الرسـمية الا بعد أن يأتيك التكليف من الحكومة ، وقد يستغرق هذا شهورا ·· وهنا وقف السيد سرحان الرشـيدى شايل التراب ـ الذى جاء للزيارة علنا هذه المرة ـ وقال انه ، بصفته العمدة المؤقت ، سوف ينفذ أى أمر يصدره له حضرة جناب العمـدة المحترم حمـدى بك الأزرق !

وجمع السيد غانم شباب النجوع الشرقيـة وأقاموا احتفالا صاخبا فى ساحة النجع الكبيرة ، رقصوا فيه « المربوع » ، الرقصة التى تحتم أن تنزل فتاة للرقص بعد كل « دور » ، فرقصت حفيدات الحاج سلامة وبنت السيد موسى وبنات السيد عوض الله وغيرهن ، لكن نعمة نجمة الليلة بغير منازع ، حينما بدأت الأغنية المشـهورة ذات اللحن الساحر :

نعنـاع الجنينـة ··· المسقى في حيضانه ·

شجر الموز طرح ··· ضلل على عمدانه ·

دخل السيد عوض الله ديوان الحاج سلامة فرحب به السيد موسى قائلا : أهلا بشيخ التجار ، تعال ، لكن السيد عوض الله كان زائغ العينين ، شاحب الوجه ، لهاثه مسموع ، حدقوا فيه صامتين ، فقال لهم انه سمع بأن العمدة حمدى الأزرق يتوعد آل الرمادى بعدم السماح لهم ببيع محصولهم من التمر الى التجار أو تهريبه الى القاهرة ، لكنه سوف يرغمهم على توريده الى الحكومة لتضع له الأسعار المناسبة وتسوقه بمعرفتها بعد أن تخصم منه النفقات والضرائب .. كذلك هو سيفعل هذا مع كل أصحاب حيشان النخل وتجار التمر - الذين رفضوا انتخابه - سواء كانوا من النجوع الغربية أو الشرقية ، وأنه سوف يزيل أبراج حمام السيد غبريال من الوجود - حيث أنها غير خاضعة للاجراءات الصحية وتهدد دواجن البلد وحمامها بالوباء ! .

نضح العرق على وجه الحاج سلامة وهو يتخيل التجار يرفضون شراء حيشانه هو أيضا - خوفا من أن يبلغ خصومهم الحكومة عنهم - وما لبث أن جاء عميد آل الرمادى ممتقع الوجه ، وجاء السيد غبريال وقد تهدل شاربه ، وطلب الحاج سلامة أن يسرجوا له ركوبته ، وساروا جميعا حوله ، كأنهم يمشون فى جنازة .

استقبلهم العمدة الأزرق بترحاب ، وأجلسهم فى الحجرة ذات المقاعد الجلدية الوثيرة التى يسميها « الصالون » وقدم لهم مشروبا قال ان اسمه « خشاف » اتضح لهم ان بداخله أشياء مألوفة لديهم ، وقال انه غير مستعد لمراجعته فى هذا الأمر ، حتى بعد أن أفهمه السيد عوض الله بأنه اشترى أكثر من عشرين حوشا هذا العام ، وسوف يخسر نصف ما دفعه فيها اذا أوردها عن طريق الحكومة ..

قال العمدة الأزرق وهو يبتسم فى وجه السيد عوض الله ،

ان أحبابى يستطيعون أن يشحنوا تمرهم فى المراكب الشراعيـة حتى محافظة قنا ، ثم بعد ذلك يشحنونه عن طريق سيارات النقل كما يفعلون دائما دون أن يتعرض لهم أحد ، فقال له الحاج سلامة ان خصومهم سوف يبلغون عنهم ، فتضبط المراكب الشراعية قبل وصولها محافظة قنا ٠

وفكر العمدة الأزرق قليلا ، وخيل اليهم انه سوف يتراجع عن قراره لولا ان تكلم السيد طه الرمادى طالبا منه أن يسامحه على الخطأ الذى وقع فيه بانتخابه العمدة هارون ٠٠ قاطعه العمدة الأزرق بقوله انه لايتسامح مع أعدائه ، ثم وجه للسيد غبريال نظرة نارية وقال : الأيام بيننا ٠

ولازم الحاج سلامة فراش المرض ، والتف حوله أصـحابه يقلبون الأمر على كل وجوهه ، وضحك السـيد غبريال حين رأى السـيد عوض الله يكاد يبكى من القهر ، وقال له اذا كان الفقر قادما الينا بالقطار السريع « المفتخر » الذى لايقف الا فى عواصم المحافظات ، فليس أمامنا الا الاستعداد لاستقباله ! ٠٠ وقال السيد موسى انه يؤمن بأن الله سبحانه وتعـالى ، لن يتخلى عنهم ، وانه واثق ان العمدة الأزرق سوف يحدث له ما يشغله عن هذا التدبير الشيطانى ، وقال عميد آل الرمادى انه رأى فى منامه منذ أيام ، ان حريقا شب فى البلد فلم يدع نخلا ولا زرعا الا أحرقه ، وهاهو الحلم يفسر أمامه الآن ، ثم صمتوا جميعـا عندما سمعوا صهيل فرس ، وما لبث ان جاء صادق يقول ان العمدة الأزرق سـمع بمرض جده وجاء لزيارته ٠

خرجوا جميعا لاسـتقباله ـ باستثناء السـيد موسى ـ وعادوا يحفون به من كل جانب ، وتعجب الحاج سلامة من الطريقة

الجديدة التي يمشي بها العمدة الأزرق ، حيث كان يميل الى أقصى اليمين ، ثم يعود ويميل الى أقصى اليسار ، ولما جلس بجواره على السرير ، ظل الباقون واقفين ــ باستثناء السيد موسى ــ وبعضهم شبك يديه حول صدره كأنهم فى حفرة الفرعون الاله ٠٠ ظلوا على هذا الحال لفترة والعمدة الأزرق يسأل الحاج عن صحته ، ثم صمت ــ الأزرق ــ للحظة وهو يوجه نظرات صارمة للواقفين ، ويعدل من وضع قفطانه الشاهي ذى الخطوط الذهبية على أرضية بيضاء ، وهم ينظرون اليه بأعين منكسرة ، وعميد آل الرمادى يبتسم له فتلمع سنته الذهبية ، وطلب العمدة الأزرق منهم ، بلهجة آمرة ، أن ينتظروه جميعا فى الخارج لأنه يريد أن يستشير صديقه الحاج سلامة فى بعض الأمور الخطيرة ، فأسرعوا جميعا الى الخارج، وجلسوا على الدكك تحت الأعمدة الطينية المسماة بارم ذات العماد، باستثناء السيد موسى الذى انصرف الى بيته ٠

قال العمدة الأزرق للحاج سلامة ، انه نادم الآن على ترشيح نفسه لهذا المنصب ، لأن الحملة الانتخابية كلفته أموالا طائلة ، لكنه قرر ــ من أجل خاطر الحاج سلامة ــ أن يسمح لأصحاب الحيشان ، ولتجار البلح ، بالتصرف فى محاصيلهم بالطريقة التى يريدونها ، بشرط أن يتنازلوا له عن ربع المبالغ التى ستضيع منهم لو باعوا التمر عن طريق الحكومة ! ٠٠ وهو مستعد لاعفاء صديقه وحبيبه الحاج سلامة من دفع أى شيء ، هو وكل أصدقائه الذين يحبهم وعلى رأسهم السيد موسى ، بشرط آخر ، أن يتكرم الحاج سلامة ويتنازل له عن عم جبريل !

فغفر فاه الحاج سلامة وظل يحدق فى وجه العمدة الأزرق السمين الناعم لفترة طويلة قبل أن يستوعب ما قاله ، وعاد العمدة الأزرق يتحدث عن منصبه الجديد كثير النفقات الذى شغله عن

شـئونه الخاصـــة ، وهو فى أشد الحاجة الآن الى « خبير » فى الزراعة ، مخلص ومطيع ، يشرف له على أرضه وجنينته ويعتنى بفرسه ، واذا كان الحاج سلامة صاحب فضل فى أنه أصبح عمدة ، فعليه الآن أن يكمل جميله ، والا فانه ـ الأزرق ـ سوف يتعرض لهزات مالية صعبة !

حاول الحاج سلامة أن يشرح حاجته الشديدة الى عم جبريل، لكن العمدة الأزرق قال له انك بصفتك شيخ المزارعين ، تستطيع أن تأتى بالكثيرين مثله ، وصمت الحاج ســلامة طويلا ، يحاول اختيار الكلمات المناسبة ، قبل أن يقول ان نعمـــة الآن مخطوبة لغانم ومن الصعب انتقالها مع أبيها ، فطوح العمدة الأزرق عنقه الى الوراء وهو يقهقه ويقول انك أول من يعرف ياحاج ان نعمـة لاصلة لها بغانم بدليل انك منعته من زيارتهـا وكدت أن تزوجها لقريبك التافه المسمى بمحمود الشحات ، لولا انقاذى للموقف حين تدخلت شخصيا ٠٠ وأضاف وهو يحمحم كما يفعل الجواد الطلوقة حين يلمح فرسا ، بأنه ســوف يختار بنفسه الرجـل المناسب لنعمة حيث ان هذه « الجوهرة » لا يصح أن تدفن عند أمثال غانم أو محمود الشحات أو غيرهما من « رابش » البلد ٠

بعد مغادرة العمدة الأزرق للبيت ، أغمى على الحاج سلامة ، فالتف حول فراشه أصحابه وأحفاده وبناته وزوجته وأم أحفاده وبكوا عليه ، وشقت النساء الثياب ، وأرسل السيد عوض الله ابنه الى البندر فأحضر له الطبيب الذى طلب منـــه عدم مغادرة الفراش لأسبوع كامل ٠



يقول بعض الخبثاء ، ان العمدة الأزرق سمع باسم نعمة لأول مرة أثناء الضجة التى حدثت عندما انتقلت هى وأبوها الى دار العمدة السابق هارون ٠٠ شد انتباهه حديث الناس عن رشاقة قوامها وعن تلك اللمعة الغريبة التى تنبعث من عينيها الواسعتين ٠٠ وفى اليوم الذى عادت فيه نعمة الى النصف الشرقى، وسط التهليل والرقص، وقف عن عمد فوقعتبة ديوان آل الرمادى، الذى يطل على الطريق الذى سيمر فيه موكبها ٠٠ يضيفون بأنه كان يمضع شفته السفلى بطريقة عصبية حتى انه نسى نفسه وظل واقفا فى مكانه لفترة طويلة بعد أن غاب موكبها مع انحناءة الطريق ٠

يقولون أيضا بأنه – فى أيام الحملة الانتخابية – تعمد أن يمر فى الدرب الضيق الذى يقع فيه بيت عم جبريل ، وانه دخل البيت فى الحال حين قال له عم جبريل ، فى مجاملة لايتوقع لها استجابة ، تفضل يا حضرة العمدة ، ولما وجد نعمة أمامه ، ارتبك – كما قالوا – حين واجهته العينان اللتان يحيط بياضهما الناصع بسوادهما العميق ، وجعلتا الشعراء فى القرية يهلوسون بهما فى أشعارهم ، لكنه تمالك نفسه وطلب أن يشرب كوز ماء من يدها ، دلالة على أن عم جبريل أصبح من أسرته ، وشرب بشراهة – كما يقول الخبثاء – دون أن يرفع عينيه عن وجهها ، ناسيا ان اناء الماء من الصفيح الصدىء ٠

يضيفون بأن جميع كبار السن تحرجوا عن حضور المهرجان الذى أقامه غانم وأصحابه فى ساحة النجع الكبيرة ، احتفالا بانتصارهم فى الانتخابات ، الوحيد الذى حضر كان العمدة الأزرق، جلس على الدكة العالية التى نصبت له ، يحدق فى نعمة أثناء رقصها ، يتململ فى جلسته ، تخرج من جوفه تنهدات حارة ، ظن

الكثيرون انها لفرحته باحتفال الناس بفوزه ، لكن اتضح ان الماء ـ كما يقول شيخ الكتاب ـ تسرب تحت التبن !

★ ★ ★

لغط السيد موسى والسيد عوض الله والسيد حامد الطويل والسيد عثمان الغالى والسيد غبريال والسيد طه الرمادى حول فراش الحاج سلامة ـ ولم يفارقوه طوال فترة الخطر ـ وانضم اليهم السيد بركات الناظر ٠

وكانوا قد نقلوا الحاج من حجرة نومه ـ بسبب كثرة الداخلين عليه ـ الى السقيفة الصغيرة فى الركن الجنوبى من فناء البيت ٠ وضعوا له حشية على سرير جريد ، وأرقدوه ، وحوله دارت أسرة الحبال الصغيرة يجلس عليها الزوار ٠

اقترح بركات الناظر رفض انتقال عم جبريل وابنته مهما كانت الأحوال ، لكنهم جميعا ـ باستثناء السيد موسى ـ رفضوا هذا الاقتراح الذى سيعرض « الناس » للافلاس ، وأيدهم الحاج سلامة فى هذا قائلا : تكون مصيبة اذا لم نعطه جبريل ٠

غضب السيد بركات الناظر لهذا الاجماع وغادر المكان ليدخل بيته ولايخرج منه طوال الأسبوع الا لحلب بقرته أو اطعامها ، وقال لزوجته انه منذ هذه اللحظة سوف يهتم بشئونه الخاصة فقط ، ولن يهتم بمشاكل البلد ، وفرحت زوجته بذلك ، ويقال انها أطلقت زغرودة !

وعانى السيد غانم الكثير من المشاق قبل أن يتمكن من مقابلة السيدة زوجة العمدة الأزرق ٠٠ كانت مشغولة فى استقبال وفود المهنئات اللاتى تقاطرن من أطراف النجوع ٠٠ وجدها امرأة

فى الاربعين ، شاحبة الوجه ، كأنها تعــانى من ســوء التغـذية ، تمشى فى البيت بملابس قصيرة مثل نساء البندر ، يبرق الذهب فى يديها وعنقها ، حذرها من أن لدى عم جبريل ابنة لانظير لجمالها فى البلد ، وان زوجها يصر على أن يعمل أبوها عنده لغرض فى نفسه ٠٠ لكن المرأة صدمته حينما قالت له وهى تنهره ان حضرة العمدة حمدى بك أرفع من أن يهبط الى عشق بنات الأجراء ، وهى ـ بحكم مركزها الكبير ـ لاتحتاج الى أمثاله لكى يشيروا عليها بما يجب أن تفعل ، ثم تركته واقفا تحت الأعمدة ذات القالب الأحمر فى ركن البيت الغربى ، وانصرفت الى الداخل ٠

قال غانم لنعمة ولعم جبريل ، وهم يجلسون حزانى فوق الحصيرة بالقرب من الفرن ، ان زوجة العمدة الأزرق ، استقبلته واقفة وعن يمينها امرأة ، وعن يســـارها أخرى ، كأنها ضابط المباحث الذى يراه فى البندر يحف به الجنود ، وانهـا لم تدعه للجلوس أو تأمر له بالشاى ، ولو على ســبيل المجاملة ، وكانت تخاطبه بلهجة متعالية كأنه خادم عند أبيها ، على الرغـم من انه تنــازل عن مركزه ـ كمقــاول ـ ولم يخاطبهـــا الا بقوله « يا عمداية » !

اقترح غانم أن يعقد قرانه على نعمة ويتزوج منها فورا ـ رغم ما سوف يكلفه هذا حيث سيبيع العجل قبل أوانه ـ ليقطع الطريق على العمدة الأزرق ، فوافقته نعمة ، لكن عم جبريل طلب منه أن يتمهل لأنه لايستطيع الاقدام على هذه الخطوة الخطيرة قبل أن يضمن وقوف الحاج سلامة معهم ، والا عصف بهم العمــدة الأزرق جميعا ٠٠

وجلس غانم على حافة فراش الحاج ســــلامة ، بحضور عم جبريل ، وأفضى اليه بخطة عقد القران ، فقال الحاج سلامة ، بلهجة أقرب الى البكاء ، ان العمدة الأزرق ســـوف يظن ان عقد القران من تدبيره ، فينفذ تهديده بتوريد محصول التمر للحكومة فيخرب بيته وبيوت الكثيرين ، وطلب من غانم أن يتذرع بالصبر وانه سوف يفكر في ايجاد حل ٠

حين دخل غانم بيت السيد بركات الناظر ، وجده يتكيء على مسند قديم فوق سرير حبال يقرأ فى الصحيفة اليومية ، وبجواره زوجتـــه ، وهى امرأة نحيلة ، حلوة تقاطيع الوجه ، ترتدى ثوبا أصفر بسيطا ، رحبت بغانم ، لكنها حين سمت زوجها يخوض معه فى مشكلة نعمة والعمدة الأزرق ، انفجرت فى زوجها بأنه وعدها أن يهتم بشئونه الخاصة ، وقالت ان جميع النســـاء فى البلد يمـلأن أيديهن ونحورهن بالذهب باستثنائهـــا هى ، حتى ان الكثيرات من نساء النجوع البعيدة ، يدهشن لثيابها البسيطة حين يقال لهن انها زوجة الرجـــل المشهور ـ الذى يخيف الحكام ـ بركات الناظر ، وانها تشعر بالخجل ويخيل اليها انهن يتغامزن عليهـــا ٠

تحرج غانم حين رآها تنفجر فى زوجها ، التفت الى السيد بركات النـــاظر فألفاه مطرقا ، يسمع فى صمت ، عا شـــفتيه ابتسامة لم يستطع غانم أن يفسرها ٠

بعد فترة رفع الناظر رأسه وقال لزوجته ، بلهجة ودود ، يابنت الخال ، رضاء الانسان عن نفسه لايجلبه المال ولا الجاه ، وحياتنا البسيطة أفضل من حيـاة الكثيرين ، ثم اننى لا أدخن السجائر ولا المعسل ومطالبى غاية فى البساطة ، فلا يهمنى أن

أركب الخيل أو أقتنى الأطيان ، ولست مسئولا الا عن ابننا الوحيد (عرابى) وهو متفوق فى دراسته ، ويساعدنى فى رعاية البقرة وزراعة الفدان ، وهذه نعمة نشكر خالقنا عليها ، وأضاف ضاحكا ، والواجب ان تضعى فى عينك « حصوة » ملح ، وتحضرى الشاى « المعتق » لضيفنا العزيز غانم الذى عرف الآن حقيقة سوء خلقك ، فلم تتمالك المرأة نفسها من الضحك ، وهبت فى نشاط لتدخل حجرة الفرن ، وتنفس غانم الصعداء ٠

قلبا الأمر على كل وجه ، وهما يشربان الشاى ، فلم يضيفا جديدا الى ما قاله الحاج سـلامة وأصـحابه ، وشاركتهما المرأة همومهما حين رأت زوجها يسند رأسه على راحة يده ويغرق فى تفكير عميق ٠

فى منتصف الليل ، ارتدى السيد بركات الناظر جلبابه الدمور النظيف ، ولف عمامته الصغيرة ناصعة البياض ، وحمل الخيزرانة الرفيعة التى لاتفارق يده ، ولما سألته زوجته الى أين هو ذاهب فى هذا الوقت المتأخر من الليل ، قال ستعلمين عندما أعود يا بنت الخال ٠

يقول (حمـاده) ابن العمدة الأزرق ، انه فوجىء بطرقات قاسية فى سكون الليل على البوابة الكبيرة ، فلما فتح وجد أمامه رجلا طويلا نحيلا شديد السمره ، عرف من صـوته انه بركات الناظر ٠٠ طلب منه ايقاظ أبيه العمدة لأنه يريد الانفراد به فى التو واللحظة لأمر هام وخطير ٠٠

جلس السيد بركات الناظر قبالة العمدة الأزرق ، الذى كان منتفخ العينين من آثار النوم ، يحبك حول جسـده المدملج عبـاءة قرمزية حريرية ، ويتربع على مقعد جلدى فى صالون بيته ، قال

له انه جاءه الآن يرجوه أن يتنازل عن انتقال جبريل الى حقله لأن الناس سوف يفسرون ذلك تفسيرا مشينا بسبب ما أثير حول هذا الموضوع مع العمدة السابق هارون ، فنفخ العمدة الأزرق وقال انه أشرف واحد فى البلد ، وانه يعتبر الحديث فى هذا الموضوع ، وفى هذا الوقت من الليل ، اهانة لشخصه واستهتار بمكانته ٠

تجهم وجه السيد بركات الناظر ، فبدا نحيلا أكثر من ذى قبل ، وقال ، كاظما غيظه ، انه يأسف اذ جاء فى هذا الوقت: لكنه سيعتبر نفسه خصما له فى مستقبل الأيام ، اذا انتقلت نعمة مع أبيها الى بيته ، لأن الناس سوف تنظر اليهم - كزعماء للبلد - نظرة لاترضيهم ، فغضب العمدة الأزرق . وقال وهو يقف اعلانا بانتهاء المقابلة ، ان لحمه أشد مرارة من الحنظل . وهو يختلف عن العمدة هارون الذى كان يخشاه لاتصالاته بكبار الموظفين فى عاصمة المحافظة ، وعليه أن يعرف انه سوف يسحقه اذا سمع به يتصل بمسئول حتى لو أدى الأمر الى أن يلفق له تهمة ويزج به فى غياهب السجون ٠

لما اتجه السيد بركات الناظر الى باب الخروج ، دون أن يتفوه بحرف آخر ، خرج العمدة الأزرق وراءه ، وقال له ان ادعاءك بأنك من زعماء البلد فى غير محله ، لأنه صاحب الفدان الواحد ، من السهل اقتلاعه من البلد ، كما ٠ تقتلع ثمرة البصل الضعيفة من جذورها فلا تخلف غير حفرة صغيرة يردمها المرء بأصبع قدمه !

تقول زوجة السيد بركات الناظر . انه قضى بقية الليل يتقلب على جنبيه ويتنهد بصوت مسموع ، وفى الفجر توضأ وصلى ، ثم غادر البيت الى جهة لاتعرفها ٠

وطلع الفجـــر على نعمة وغانم وعم جبريل وهم فى نفس جلستهم التى كانوا عليها أول الليل ، يدورون بأيديهـم حول ركبهم ويسندون عليها رؤوسهم فوق الحصيرة المتآكلة الأطراف ، بعد أن تعبوا من الكلام على أثر رفض عم جبريل لكل اقتراحات غانم ، وكان آخرها الهروب من البلد الى البندر أو الى قرية أخرى، لأن عم جبريل يعتقد ان قبضة الأزرق القوية سوف تهبط على رؤوسهم ولو كانوا فى بلاد الانجليز ، أو فى حماية أبو زيد الهلالى ســلامة ذاته ، وكانت عينا نعمة شديدتى الاحمرار بسبب البكاء حينما قال غانم انه سوف يقتل العمدة الأزرق اذا سدت كل الطرق.

★★★

عنـد شروق الشمس ، رفض العمدة هارون أن يخـــرج لاستقبال السيد بركات الناظر ، أو يسمح له بالدخول ، وطلب من ابنه أن يبلغه بأنه لا يريد أن يصبح على وجه غراب البين ، فضحك السيد بركات الناظر فى الخارج وهو يسمع هذا ، وضرب الباب بعصاه الرفيعة ثلاث مرات ، ثم قال « ياساتر » ودخل .

وجد أمامه العمدة السابق هارون يتربع على أريكة قديمة فى مدخـــل الدار ، أمامه مائدة صغيرة عليها مفرش أبيض فوقه صنية صغيرة عليها كوب من الشاى باللبن ، وكان العمده هارون شاحبا ، كأنما قفز به العمر عشر سنوات ..

قال له ضاحكا ، انت تســمينى غراب البين ، لكن ما رأيك فى أن عندى لك مشــورة ســـوف ترغم الحكومة على أن تعيد الانتخابات من جديد ؟

هدأ العمدة هارون على الفور حين ســمع الجملة الأخيرة ، واستبعد من رأســـه فكرة طرد — تربية المرأة — حين رآه يقتحم

عليه البيت بلا استئذان ، ووقف له مفغور الفم ، حتى انه وضع يده اليسرى فوق كتفه وهو يصافحه ، ثم أجلســه بجواره على الدكة ، وطلب من ابنه أن يجهز مع الشاى طبقا من الأرز باللبن — الذى اشتهر به بيت العمدة هارون — لعمه السيد بركات الناظر ٠

★★★

شاهد الناس فى بلدنا وفدا كبيرا يتقدمه العمدة الســابق هارون ، يضم أهل الرأى من النجوع الغربيــة ، يعبر النهر ، ثم يستقل القطار المتجه الى عاصمة المحافظة ، وفى اليوم الثانى جاءت الأخبار بأن الوفد سافر الى القاهرة ، قضى فيها أسبوعا ، ثم عاد الى البلد ، وانطلقت الزغاريد أمام بيت العمدة السابق هارون، لأن الحكومة وافقت على اعادة الانتخابات ، بعد أن ثبت لها ان الانتخابات الماضية كانت مزيفة ٠

لم يصدق العمدة حمـــدى الأزرق هــذه الأخبار الا بعد أن أكدوا له ان العمدة السابق هارون أثبت للمسؤلين بأن أسماء جميع المسافرين قد تأشر عليها فى كشوف الانتخابات على أساس ان أصحابها حضروا الى البلد وأدلوا بأصواتهم ٠٠ وانه قدم مستندات رسمية تثبت ان هذا لم يحدث ، بدليل ان عبد الفضيل البرقوقى كان محجوزا باحدى مستشفيات القاهرة ، على أثر حادث سيارة ، فى نفس يوم الانتخابات ، وان عبد الله الأخضر فى السجن منذ سنتين ولايزال به حتى الآن ، كذلك كان محمود آبو عبد الرحيم فى معسكره — كمجنــد فى الجيش — ولم يحصل على أجــازة يومئذ ، وغير ذلك كثير من المستندات ، وان الحكومة تكفيها حالة واحدة فقط لتعيد الانتخابات ٠

يقول الذين شاهدوا العمدة حمدى الأزرق يستفسر عن صحة هذه الأخبار ، وهو واقف على الترعة تحت أبراج السيد غبريال ، ان سواد عينه اليمنى غاص فى الجانب الأيسر ، وغاص سواد اليسرى فى الجانب الأيمن ، ولم يبق ظاهر للناس غير البياض !

شفى الحاج سلامة من مرضه ، وعلت الضحكات السعيدة حول فراشه من أصدقائه ، وقال عميد آل الرمادى انه السبب فى ضياع العمدة الأزرق ، لأنه كشف رأسه وظل يدعو عليه لثلاثة أيام كاملة ، وضحك السيد غبريال وهو يقول انه حلم الليلة ان قطار الفقر انقلب من فوق القضبان عند محطة نجع حمادى ، ثم استعرضوا الأسماء التى يجب أن يرشحوها ، واستقر رأيهم على السيد حامد الطويل حيث انه يملك ـ بجانب الطاحونة ـ خمسة أفدنة كافية تماما لكى تنهض بأعباء هذا المنصب ، وأصبحوا لا ينادونه الا بقولهم ياعمدة ٠

وانطلقت شائعة تقول ان الحكومة سوف تخصص لمن يفوز بمنصب العمودية راتبا كبيرا يوازى مرتب المدير العام ٠٠ كانت شائعة كاذبة لكنها جعلت الزمام يفلت من أعيان البلد فى النجوع الشرقية والغربية ، فلم يعودوا يتحكمون فى اختيار المرشح ٠٠ حيث فوجئوا بأكثر من عشرة أشخاص يرشحون أنفسهم فى النجوع الشرقية ، وبحوالى خمسة عشر من النجوع الغربيه ، بعضهم لايملك غير ستة قراريط ، وكان أشهر المرشحين ، السيد بركات الناظر ، وناظر المدرسة الابتدائية فضلا عن حمدى الأزرق ، وقبالة العمدة هارون ترشح ابن عمه الذى تعلم فى الأزهر ، ورئيس الجمعية الزراعية الذى يحمل دبلوم الزراعة المتوسط ، وابن المأذون الذى حصل على الثانوية العامة ، فضلا عن سرحان الرشيدى شايل التراب ٠

راتب كبير

كما رشح زعيم النجع الأوسط نفسه ، ونافسه ابن أخيه الذى تخرج من آداب أسيوط منذ بضـــعة أعوام ، وضرب الحاج سلامة كفا بكف وقال ان الذى يحدث أمامه يدل على قرب قيـــام الساعة ٠٠

وانتهز غانم الفرصة ، فاتفق مع نعمة وعم جبريل على عقد القران والزواج فى احتفال بسيط، داخل بيته ، لايحضره الا خاصة أصدقائه حيث لايستطيع ذبح أكثر من خروف صغير ، فالأحداث لم تتركه يسمن العجل ويبيعه في الوقت المناسب ٠

لكن عرس غانم كان من أكبر الأعراس فى بلدنا ٠٠ جاء مرشح ومعه أقاربه وأنصاره ، وغصت الساحة الواسعة فى قلب النجع بالناس ٠٠ وذبح العمدة هارون خروفا على حسابه « نقوطا » منه لصديقه السيد غانم زعيم « المقاولين » ، وذبح كل من الأزرق وشايل التراب وحـامد الطويل ، خروفا على حســابه خوفا من كسب العمدة هارون لأصوات « المقاولين » ، وفى بيت عم جبريل ، تدافعت زوجات المرشحين وبناتهم فأجلسن نعمة على أريكة أنيقة ـ جاءت من بيت الأزرق ـ عليها مفارش حريرية ومســاند ملونة ، ووضعن على رأس نعمة تاجا من سعف النخيل الأخضر ، ورحن يرقصـــن ويزغردن ويضربن بالدفوف ويدرن حولهـا كما تدور الكواكب حول الشمس ٠

تمت

صدر من هذه السلسلة :

● الرجل المناسب	(قصص)	فتحى غانم	١
● دموع رجل تافه	(قصص)	عبد الرحمن فهمى	٢
● الجميع يربحون الجائزة	(قصص)	ابو المعاطى ابو النجا	٣
● بالأمس حلمت بك	(قصص)	بهاء طاهر	٤
● رباعيات	(قصص)	شكرى عياد	٥
● من قتل الطفل	(مسرحيتان)	عبد الغفار مكاوى	٦
● منتصف ليل الغربة	(قصص)	جمال الغيطانى	٧
● رشق السكين	(أقاصيص)	محمد المخزنجى	٨
● وعلى الأرض السلام	(قصص)	فاروق خورشيد	٩
● الأشواق والأسى	(رواية)	عبد الحكيم قاسم	١٠
● والبحر ليس بملآن	(رواية)	جميل عطية ابراهيم	١١
● ان تنحدر الشمس	(قصص)	سحر توفيق	١٢
● لا تسقنى وحدى	(رواية)	سعد مكاوى	١٣
● كهف الأخيار	(قصص)	شكرى عياد	١٤
● محطة السكة الحديد	(قصص)	ادوار الخراط	١٥
● حصار القلعة	(م. شعرية)	محمد ابراهيم ابو سنة	١٦
● اربعة فصول شتاء	(قصص)	محفوظ عبد الرحمن	١٧
● سارق الكحل	(قصص)	يحيى حقى	١٨
● انا الملك جئت	(قصص)	بهاء طاهر	١٩
● تاريخ حياة صنم	(قصص)	عبد الرحمن فهمى	٢٠
● الوداع : تاج من العشب	(قصص)	عبده جبير	٢١
● النجوم العالية	(أقاصيص)	محمود الوردانى	٢٢
● قلوب خالية	(رواية)	عبد الرحمن الشرقاوى	٢٣
● الشجرة والعصافير	(قصص)	ابراهيم عبد المجيد	٢٤
● عطشان يا صبايا	(قصص)	سليمان فياض	٢٥
● طرف من خبر الآخرة	(رواية)	عبد الحكيم قاسم	٢٦
● طعم القرنفل	(قصص)	جار النبى الحلو	٢٧
● السحر الأسود	(رواية)	شفيق مقار	٢٨

العنوان	النوع	المؤلف	العدد
● تسلق الجدار الاملس	(قصص)	حسنى عبد الفضيل	٢٩
● احتضار قط عجوز	(قصص)	محمد المنسى قنديل	٣٠
● رحلة النيل	(قصص)	عبد الله خيرت	٣١
● حبات النفتالين	(روايه)	عالية ممدوح	٣٢
● ارض لا تنبت الزهور	(مسرحية)	محمود دياب	٣٣
● الخــــوف	(رواية)	عبد الفتاح الجمل	٣٤
● ما اجملنا	(مسرحيتان)	محفوظ عبد الرحمن	٣٥
● لم يعد الضحك ممكنا	(قصص)	يوسف القعيد	٣٦
● حبال السام	(قصص)	فاروق خورشيد	٣٧
● الحنان الصيفى	(قصص)	احمد الشيخ	٣٨
● يوسف والرداء	(قصص)	ابراهيم أصلان	٣٩
● مسألة لبنى	(قصص)	يحيى عبد الله	٤٠
● عكس الريح	(مسرحية)	يوسف أبو ريه	٤١
● هــــل	(قصص)	محمد جبريل	٤٢
● عفاريت الجبانة	(قصص)	نعمان عاشور	٤٢
● الطائر والنهر	(قصص شعرى)	عائد خصباك	٤٤
● زهر الليمون	(قصص)	علاء الديب	٤٥
● الطواحين	(مسرحية)	امين ريان	٤٦
● رائحة البحر	(رواية)	سامى فريد	٤٧
● حضرة صاحب الدولة	(قصص)	عاطف الغمرى	٤٨
● أسباب للكى بالنار	(قصص)	خيرى شلبى	٤٩
● السين والطلسم	(مسرحيه)	بدر الديب	٥٠
● الملاك الأبيض	(قصص)	محمد زفزاف	٥١
● أيام الانسان السبعة	(رواية)	عبد الحكيم قاسم	٥٢
● هذا ما كان	(قصص)	محمد البساطى	٥٣
● الغرف الأخرى	(رواية)	جبرا ابراهيم جبرا	٥٤
● اغنيه حب حزينة	(قصص)	طلعت فهمى	٥٥
● انكسار الحروف	(قصص)	ربيع الصبروت	٥٦
● اخبار الدراويش	(رواية)	عبد الوهاب الأسوانى	٥٧

العدد القادم :

● النيل والغضب (قصص) فتحى عبد الفتاح

فى أعدادنا القادمة

- الشىء (رواية) نهاد شريف
- نورسان ايفيان (قصص) نعيم عطيه
- ساعات الكبرياء (قصص) ادوار الخراط
- الغيوم ونبات الشجر (رواية) عبد العزيز مشرى
- قصص مختارة (قصص) يوسف الشارونى
- الوجه الآخر للقمر (قصص) محمد سليمان
- الصخرة والطوف (مسرحيات) فؤاد التكرلى
- ستر العورة (قصص) سعيد الكفراوى
- فنجان قهوة قبل النوم (رواية) صبرى موسى

الأعداد الممتازه القادمة

- المعذبون فى الأرض (رواية) طه حسين
- قنطرة الذى كفر (رواية) د. مصطفى مشرفة
- خيوط العنكبوت (رواية) ابراهيم عبد القادر المازنى
- ابراهيم الثانى (رواية) ابراهيم عبد القادر المازنى
- نائب عزرائيل (رواية) يوسف السباعى
- فساد الأمكنة (رواية) صبرى موسى
- قصص مختارة (قصص) يوسف ادريس
- الجبل (رواية) فتحى غانم
- قصص مختارة (قصص) يوسف الشارونى
- أغنية الرياح الأربع (دراما شعرية) على محمود طه
- بحيرة المساء (قصص) ابراهيم اصلان

تطلب كتب هذه السلسلة من

- باعة الصحف ● مكتبات الهيئة
- معارض الكتاب بداخل مصر والخارج
- المعرض الدائم للكتاب
- مكتبات الهيئة المتنقلة بالأحياء والأقاليم

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٨/٨٠١٢

ISBN ـ ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ٢٠٠١ ـ ٤